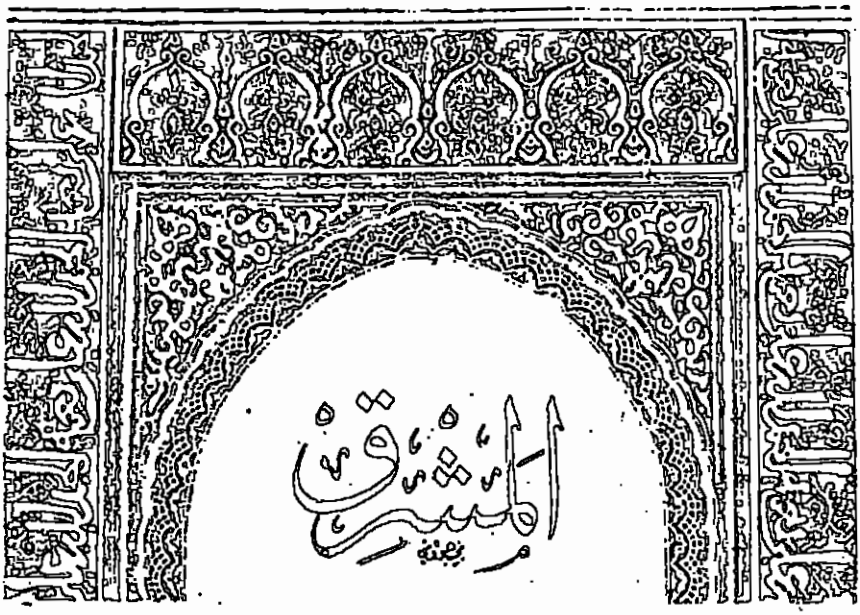

تشرين الثاني ١٩٣١

في اتحاد الكنائس

للاب ازمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس(*)

١

رأي بعض الكتبة في هذه المسألة

كم بين مفكري عصرنا مَن عبّروا عن رغبتهم في اتحاد الكنائس التي تسمي ذاتها مسيحية ، وتدّعي كل واحدة منها انها كنيسة المسيح الحقيقية ؛ وقد ظهر لبعضهم ان السبيل الى هذا الاتحاد يتمهّد ، ان رضيت كل كنيسة بحصر عقائدها في حدود قانون الايمان ، كما عيّنه آباء المجمعَين العامّين الاولَين ، فيقولون : ان اتحاد الكنائس لا يقتضي توافقها على جميع المعتقدات ، بل يكفي ان يعترف المؤمنون كلهم ببعض حقائق ذات اهمية كبرى في تعليم يسوع المسيح . فلا بأس اذا كان اختلاف آراء في الامور

(*) صحح عبارته ، وعني بنشره الخوري اسطفان فرحات اللبناني .

الغير المتعلقة بتلك العقائد الرئيسية ؛ كما يعلمنا التاريخ ان الامر كان دائماً في الكنيسة مما لم يحل قط دون وحدتها في الثانية القرون الاولى فلماذا لا تكتفي كنيسة الله ، في ايامنا هذه ، بما كان يكفيها في قديم الزمان ؟ واذا بان أنّ هذا الاكتفاء هو السبيل الوحيد للوصول الى الاتحاد المبتغى ، أفلا يعد واجباً على كل كنيسة ؟ فان وحدة قطيع المسيح لهي خير اعظم واهم من المحافظة على قضايا لم يعتقدها كثير من النصارى القدماء ، مع انهم تركوا لنا من امثال الايمان الحي ما لا يفوقه اجمل ما يذكر في سير القديسين .

فلو عوّلنا على حكمة اولئك لاستنتجنا من مبادئهم انه يجب على الحبر الروماني ان يعدل عن ادعائه بالعصمة من كل ضلال ، وبالرئاسة على الكنيسة برمّتها . فانهم يقولون : ان هاتين القضيتين هما مما زادته الكنيسة البابوية في العقائد الاولية ، ومما تختلف فيه الكنيسة عينها عن باقي الكنائس . وكذلك يلزمنا ان نترك قضية انبثاق الروح القدس من الآب والابن ، بحيث يكون كل مؤمن حرًّا ان يعتقد في هذه المسألة بما يحسن في عينه ؛ ويمحي من بيان العقائد الكاثوليكية عقيدة الحبل بريم العذراء بلا دنس ؛ ولا يبقى على المؤمنين من واجب بالاقرار بوجود المطهر وبالدينونة الخاصة .

٢

تفسير مذهب اولئك الكتاب

علينا اولًا ان نمدح رغائب اولئك الذين يبدو منهم هذا الاعتناء الجزيل بتجديد وحدة الكنيسة . ونوافقهم على ما يقولون من ان هذا التجديد هو امر حسن جدًّا ، يستحق اهتمام جميع المؤمنين بان يبذلوا كل ما في وسعهم لانجازه . وهذا ليس فقط بالنظر الى عظم المنافع التي تحصل للمسيحيين من انضمامهم كلهم الى جماعة واحدة ، ومن زوال الانشقاقات المشؤومة التي خربت حظيرة المسيح ، بل لاعتقادنا ايضاً ان الذين يعيشون خارجاً عن الكنيسة الحقيقية ليسوا في طريق الخلاص الابدي ، وان كان ممكناً ان يخلص بعضهم من ذوي

النيّة المستقيمة ، اي بحيث لا ينسب ضلالهم الى سوء ارادتهم .

ويلزمنا ايضاً ان نثني على غيرة بعض الكتبة المذكورين ، لبثهم روح المحبة والاخاء بين اعضاء الكنائس المختلفة ، ولاجتهادهم في توصية رؤساء الكنائس بالاعراض عن الكبرياء الممقوتة ، التي هم محقون بقولهم عنها انها كانت مبدأ كل انشقاق ، كما هي اصل كل شر .

بقي علينا الآن ان نفحص الطريقة التي يقترحونها ، ويحضون على اتخاذها دستوراً للبلوغ الى الاتحاد المبتغى .

اولاً : هل يجوز للحبر الروماني ان يرضى بالاعتزال عن الرئاسة العامة ، وبالنزول الى مرتبة الاساقفة ؟

اننا نجيب بلا ريب : انه لا يجوز ذلك البتة . لاننا نعتقد ان هذه الرئاسة وضعها يسوع المسيح نفسه ، حينما قلدها لبطرس ؛ ويريد ايضاً ان تدوم الى منتهى الاجيال ، وان يرثها كل من يخلف بطرس خليفة شرعية . فبناء على ذلك نقول : ان الحبر الروماني يترأس كنيسة الله ، لا بقوة ترتيب بشري يستطيع الناس الغاءه ، بل بارادة المسيح نفسه . فكيف يسوغ له ان ينزل عن مقامه السامي ، دون ان يخالف مشيئة الله مخالفةً واضحة يذنب بها ذنباً عظيماً ، ويجلب بذلك على الكنيسة اسوأ عاقبة ، لان الرئاسة البطرسية ضرورية لصيانة وحدة الكنيسة . كما ان ذلك يلزم الحكومة ، في كل دولة ، لحفظ الجماعة المدنية .

فينتج من ذلك انه ما من اتحاد ممكن بين الذين يصرون على انكار سلطة البابا والكاثوليك الخاضعين لها . لانهم يحسبونها من عقائد ايمانهم التي لا يجوز الارتياب فيها ، ولا التغاضي عنها ؛ ويظهر من ذلك ايضاً غلط من يتوهمون الاحبار الرومانيين بتشامخ وطمع في الرئاسة ، كأن طموح هذا الذميم حملهم على الادعاء بالولاية العامة ، وصار علة الانفصال بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ، التي أبى اجلها الاعتراف بتلك الولاية الوهمية والمختلسة . فكل من يصدق هذه الشكايات يظهر بذلك أنه لم يدرك شيئاً من البراهين القاطعة ، التي يثبت بها اللاهوتيون لزوم الرئاسة البطرسية في الكنيسة ودوامها في

الكرسي الروماني دون سواه .

فباطل اذاً ما توهمه بعضهم من امكان اتحاد الكنائس ، يوم تضحي كل كنيسة بعقائدها الخاصة ، فتكتفي بالحقائق الجوهرية التي يجمع عليها المؤمنون باسرهم . وفضلاً عن ذلك ، نوقن ان الطريقة التي تصورهـا هؤلاء ليست سوى خيال لن يتحقق في عالم الموجودات . فانهم يزعمون ان عقائد الايمـان ليست كلها جوهرية على حد سوى . بل يسوغ للكنيسة التخلي عن بعضهـا تسهيلاً لارتداد من يستصعبون الاعتراف به ، وليس هذا بزعم جديد ، فـان الشيع البروتستانية جرّبت مراراً ازالة اختلافها بتحـديد قضايا جوهرية يجب الايمان بها على الجميع . واما الباقي فيكون كل فرد حرّاً في قبوله او رفضه . الّا ان الاختبار قد ابان بطلان تلك الوسيلة ، لان الفرقَ المظنون به بين القضايا الضرورية وغيرها ، مَن له ان يعيّنه ، ويحدّده بحكم يعترف الجميع بصحته ؟ فمن انت ايها الانسان ، كائناً من كنت ، لتميّز في الوحي الالهي ، فتنادي بوجوب المحافظة على جزء منه ، وتجيز للبشر عـدم المبالاة بالجزء الآخر ؟ ؟ أليست سلطته تعالى متساوية لذاتها في كل القضايا التي حسن لديه ، عزّ وجل ، ان يوحي بها الينا ؟ فان قلنا : ان بعضها يجوز الارتيـاب فيه ، فعلى مَ نبني وجوب الايمان بالبعض الآخر ؟

٣

رد اعتراض

ربّ معترض يقول : نعم ان السلطة الالهية تساوي ذاتها لا محالـة ، اذا اعتُبرت في ماهيتها . غير ان الحقائق الموحاة لا تظهر كلها كمحتواة في الكتاب او التقليد ، بوضوح متساوٍ . فلا بأس ، والحالة هذه ، في تمييزنا بين القضـايا التي يجب الايمان بها على كل مسيحي ، لكون الوحي يتناولهـا جليّاً ، وقضايا أخر تختلف الآراء بها ، ما دام لم يجمع العلماء على ان الله اوحى بها ، وبالتالي ليس الاعتقاد بها واجباً . فعلى الكنيسة ان تقرّ بهذه الحال ، فتمنح ابناءهـا حرية واسعة نحو تلك القضايا . وهكذا ترجع الى ما كانت عليـه في قرونها

الاربعة الاولى ، آمرةً بنبها باعتقاد كل ما يتضمن قانون الايمان ، ومعترفةً بحريتهم نحو باقي القضايا ، حتى تلك التي أقدمت على تحديدها بعد القرون الاولى .

فنجيب : ان الكنيسة لم تحرم قط المؤمنين حرية الآراء في الامور التي لم يُثبت كونها من الحقائق الموحاة ، او مما يرتبط بهذه الحقائق . ومن هذا الباب ما نشاهده في ايامنا هذه من جدال اللاهوتيين في ماهية التقدير الالهي ، وتأثير الله في ارادة الانسان ، وقوة الاسرار الالهية على منح النعمة لمن يتناولها ، الى غير ذلك من المسائل التي يُبحث فيها بتمام الحرية بين اللاهوتيين .

الا انّ هذا البحث نفسه ، واستقصاء العلماء عن الامور الالهية ، قد يؤدّيان الى اكتشاف ادلة تبين ان بعض القضايا لا شك في كونها من الحقائق الموحاة ، او مرتبطةً بها ارتباطاً ضرورياً . فلا يجوز اذ ذاك انكار تلك القضايا ، او الارتياب فيها . ويحدث ايضاً ان الكنيسة ترى ان تحديد بعض القضايا لازم لتكميل وحدة الايمان بين المسيحيين ، ولصيانة ايمانهم بحقائق اخرى ، لا يبعد ان يرتابوا فيها ، اذا ابيح لهم الشكّ فيها . لذلك تعزم الكنيسة على تحديد امور كانت من مواضيع الجدال ، كعدم جواز تكرار العماد الذي اعطاه الهراطقة ، وكون الاسرار المقدسة سبعة ، وكون القداس ذبيحة حقيقية ، وكون الحبل بالعذراء والدة الله بلا دنس الخطيئة الاصلية ، وعصمتها الدائمة من كل خطيئة ، ولو عرضية .

فوالحالة هذه ، هل تستطيع الكنيسة ان تزيل ما فعلته ، وتمنح ابناءها ثانيةً حرية الاعتقاد بتلك القضايا المحدّدة ، او انكارها كيفما شاءوا ؟ كلّا . لان الكنيسة لو فعلت ذلك لاقرّت بان تحديداتها ليست معصومة من كل غلط ، ولا تنفي كل ارتياب عن الامور المحدّدة . وهذا الاقرار يخالف ارادة منشئ الكنيسة ، كلّ المخالفة ، لانه يسلبها ما زيّنها الله به من الامتيازات الشريفة ، فان عصمة الكنيسة في تعليمها ، ووجوب الاذعان التامّ لاحكامها ، هما من الحقائق الموحاة ، التي لم يجز ، ولن يجوز ابداً الشك فيها . وبالتالي لا يمكن ان تحدّد الكنيسة قضية ما اية كانت ، الا وتصير عقيدةً ، يجب الايمان بها ؛ ومهما كان من حرية الآراء في تلك القضية ، قبل تحديدها ، يلزمنا ان

نقول : ان التحديد عينه ازال تلك الحرية . واذن فيمتنع ان يُبطلها المؤمنون ثانيةً . وهذا ما يؤدي بنا الى انكار كون الكنيسة تقدر على استرجاع تحديداتها ، وحلّ المؤمنين من التزام الايمان بما حدّدته . واذن فاتضح ان ليس في وسعنا استصواب الطريق الذي أوصى به الكتبة المارّ ذكرهم للبلوغ الى اتحاد الكنائس .

٤

ما هو السبيل النافع الى الاتحاد ؟

واذن فكيف نستطيع ان نسعى سعياً فعّالاً مثمراً في سبيل اتحاد الكنائس ؟ ان الاسلوب الحسن والمفيد لبلوغ هذه الغاية لا يمكن ان يختلف جوهرياً عما يجري لحلّ نزاع بين شخصين يدّعي كل منهما بحقّ ما ؛ فمن رام ان يفصل بينهما ماذا يفعل يا ترى ؟ ألا يبحث بين سالف الاحوال والحوادث عمّا يبنى عليه حقّ احد المتنازعين ؟ واذا وجد ما يكفي لاثبات دعوى احدهما ضدّ الآخر ، هل يبقى من نزاع بينهما ؟ او هل يسوغ لهما الا الاقرار بالحق والمصالحة ؟

هكذا نرى كنائس مختلفة تدّعي كل منها بكونها كنيسة المسيح الحقيقية ، فكيف يتهيأ بينها النزاع ؟ أبغير البحث عما سبق انفصالها من الحوادث ، وعما احدثه من العلل البعيدة والقريبة ؟ ولعمري ان ذلك لا يتمّ الا بدرس التاريخ باخلاص نيةٍ ، خلواً من روح المحاباة والتعصب ، الذي كثيراً ما يشوب الكتب التاريخية التي ألفها المراطقة ، وما أغرب ما بلغوا اليه احياناً من الجسارة والقحة في تشويه الحوادث واختلاق الروايات الكاذبة ، قصدَ تحويل التاريخ الى كلام عن بدعهم . غير ان التاريخ المدروس ، رغبةً في الاطلاع على الحق ، يعلمنا كيف انشأ المسيح كنيسته ، وما هي العلامات التي شاء ان يميزها بها ، واين كان مركزها ، ومن كان رؤساؤها الشرعيون . ثم كيف افترقت عنها جماعات كانت سابقاً من اجزائها ، فاتضحت بانفصالها عنه شيعاً ، اي كنائس كاذبة ؛ ولعمري ان التأمل في المعلومات التاريخية ، بنية مستقيمة سليمة ، يؤدي الى هذه النتيجة في هذا المقال : اي انه توجد كنيسة واحدة ، لها دون غيرها

حقّ الادعاء بانها كنيسة المسيح الحقيقية ، واليها يجب ان يرجع كل من انفصل عنها لاي سبب كان.

وكما قيل بصواب ان الكنيسة لا تخشى شيئاً من قبل الاكتشافات العلمية، بل تتوقع منها تأييداً لتعليمها ؛ كذلك يجوز القول عن الدروس التاريخية ، انه لا يمكن ان ينجم عنها خطر للكنيسة الحقيقية ، لا بل ان تلك الدروس تفيدها افادة عظمى ، وتؤكد صحة البراهين على صحتها.

ثم اننا نزيد كلمةً ، اجابة لمن يظهر له منهجنا هذا مفرطاً في القساوة ؛ كأن التساهل نحو الخصوم هو أليق بكنيسة الله ، فلماذا لا تحذو حذو من قام شجار بينه وبين صاحب له ، فترك لصاحبه شيئاً من حقه ، مع وفرة جلائه ، وذلك ليفي الخصام بطريق الولاء ، فهل احمد من هذا السلوك ؟ غير ان المسامحة والتساهل يحسنان حيثما لا يكون لهما سوى عاقبة خسارة زمنية ، لا بأس بالتضحية بها ، ولقد اعطت الكنيسة الرومانية امثالاً شتى في هذا التساهل . فكم من مرة تخلت عن حقوقها الزمنية للملوك اغتصبوها اياها ؟ ولكن حاشا ان يكون التساهل حيثما تكون الخسارة خسارة العقائد الدينية ، والتعاليم المقدسة ، لانها وديعة وكل الله كنيسته بمراستها. فلو رضيت الكنيسة نفسها بترك شيء منها ، لكانت خائنة منشئها الالهي ، ولاهلكت نفسها باطراح مهمتها.

ففي هذه الملاحظات ما يكفي لاثبات قضيتنا هذه اي: ان اتحاد الكنائس لا يمكن ان يُسمى اليه سعياً نافعاً ، ما لم يكن الحقّ اساساً لكل مفاوضة به ، وما لم يُستمدّ من التاريخ النور الذي يزيل اختلاف الآراء وتناقض الادعاءات . لانه يُظهر ما هي الكنيسة التي وضعها يسوع المسيح ، وامر جميع الناس بالانضمام اليها ، للحصول على السعادة الابدية.

الحفريات الاميريكية

في بيسان

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

٢

الطبقة السابعة : امنوفس الثالث وما بعده

كان امنوفس الثالث (١٤١١–١٣٧٥) مؤسس مدينة الطبقة السابعة ، لان اسمه يظهر في احد الجعلان ، وفي الختوم والاحراز الموضوعة في الاساس، تحت درجات مذبح الهيكل في تلك الطبقة . وهذا الهيكل قد استعمل حتى زمن الملك «حورمحيب» (١٣٥٠–١٣١٥) وشكله كشكل معابد المقابر ، والمعابد في البيوت الخصوصية . وكلها من عصر امنوفس الرابع ، خليفة امنوفس الثالث .

واحدى الالاهات في هيكل امنوفس الثالث كانت ، دون شك ، الالاهة « عشتريت ذات القرنين» ، لان في المعبد الداخلي نصباً يمثلها . وفي غربي هيكل امنوفس الثالث اكتشف على اهمّ قسم من بناية كبيرة يظهر انها « مَجْدلٌ كنعاني » او « ذو الاربعة الابراج » واساس بناية ملاصقة يمكن انها كانت محل اقامة رئيس البرج المصري . وهذا المجدل كان مكعباً ، ومدخله من الجهة الغربية . وله برج في كل من طرفي بابه .

ومما تهمّ ملاحظته ان في زمن تأسيس الهيكل والمجدل وغيرهما من الابنية كان التأثير الاشد وقعاً في بيسان (فضلاً عن المصري) من الطرز الآتي من نواحي بحر ايجي ، ولربما من قبرس . ويعقبه النفوذ السوري - الحثي .

قبل وفاة امنوفس الرابع (١٣٥٨) خرجت فلسطين خروجاً تاماً من حكم المصريين . والسبب المهم ان افراط الملك في اعمال التعبد جعله يهمل اشغال ملكه . وفي زمن خلفائه ، بقي الامر على ذاك الحال الى عهد سيتي الاول ، مؤسس الطبقة السادسة .

الطبقة السادسة : عصر سيتي الاول

اعاد هذا الملك حكم مصر على فلسطين (١٣١٣-١٢٩٢) في اول سنة من ملكه. وفي اثناء حملته ، بلغ بيسان حيث شيَّد حصناً وهيكلاً فوق اخربة الطبقة السابعة. واسم المدينة مذكور على تمثال ابي الهول في هيكله في كورنة في مصر. وقد اقام الهيكل على محلّ هيكل امنوفس الثالث. ولا ريب انه خصّص لعبادة ميكال وعشتريت ، كما يُستدلّ من صور كثيرة وجدت هناك. وتأريخ الهيكل والحصن الملتصق به يظهر من خرطوشة وجدت هناك وعليها اسم رعمسيس الاول ، ابي الملك سيتي . وقد القيت في آساس البناء ، تحت حيطان وارضية الهيكل . وذكر اسم الملك الاب آتٍ من ان الحملة الفلسطينية تمت وقت كان سيتي مالكاً مع ابيه رعمسيس . وفضلاً عن هذا ، فقد اقام سيتي لذاته نصباً تأريخه اول سنة من ملكه . وفيه يذكر انه قد اخرج الحصن من ايدي الهاجين من شرقي الاردن. وقد وجد نصب آخر للملك سيتي ، في الطبقة الثانية ؛ وقد استعمل في زمن البيزنطيين كعتبة باب .

بالحقيقة تقسم الطبقة السادسة الى قسمين متميزين: دعي الأول طبقة سيتي المتقدمة ؛ والثاني طبقة سيتي المتأخرة ووقعوا ايضاً في بيسان على نصب كبير لرعمسيس الثاني ، تاريخه السنة التاسعة لهذا الملك.

الطبقة الخامسة : عصر رعمسيس الثاني

الظاهر ان هذه الطبقة ، كما لاح الآن ، قد اقيمت على يد رعمسيس الثاني (١٢٩٢ - ١٢٢٥) في السنة التاسعة من ملكه . وهي تحتوي حصناً منيعاً وهيكلين : الجنوبي منهما قائم على اخربة هيكل سيتي الاول . اما السور المزدوج الخارجي ، والباب الرسمي الذي على كل من طرفيه برج ، فقد وُجدا في القسم الغربي من الحصن . واما الهيكل الشمالي فقد كان مخصّصاً لعبادة « البعلة » لانه وجد فيه نصب لاحد المصريين فيه صورة الالاهة الكنعانية الحربية « عنتيت » ؛ وامام تاج هذه الالاهة يقرأ : « عنتيت ملكة السماء ، سيّدة جميع الالهة. »

وقد بقي هذان الميكلان مستعملين على القليل الى زمن الفلسطينيين . ولا ريب انهما مذكوران في العهد القديم . ومما يقابل هذين الميكلين ما نجده في بعلبك حيث كان ، على عهد الرومانيين ، هيكلان الواحد بجانب الآخر ، الاول مخصص « لبعل » المحل المدعو « المشتري الميليوبلي » والثاني لقرينته . وفي هذين الميكلين وجد كثير من الاغراض المعدة للعبادة . واكتشف على قبور مختلفة في المقبرة الشمالية يظهر في جيهما النفوذ الايجي - الاناضولي . مما جاء دليلًا على انه كما كان في عهد الملوك السابقين ، كان في ذاك العهد ، عهد رعمسيس الثاني ، عملة مستأجرون من انحاء البحر المتوسط ، يشتغلون في الحصن ، بزعامة موظفين مصريين ، الى عهد رعمسيس الثالث .

الطبقة الرابعة : العصر الرعمسيي الاخير ، الفلسطيني ، الاسرائيلي ، الاشوري ، الكلي ، البابلي الحديث ، الفارسي القديم الخ ...

في اثناء القسم الاول من حقبة الطبقة الرابعة — اي منذ موت رعمسيس الثاني ، سنة ١٢٢٥ ، الى ملك رعمسيس الثالث ، الذي كان من السلالة العشرين ، وقد ملك سنة ١١٩٨ — كان للمصريين السلطة المطلقة التامة على بيسان . الا ان بعد هذا التاريخ هجم على مصر اقوام اصلهم ايجيون واناضوليون ، وفي جملتهم الفلسطينيون وحلفازهم . بيد ان رعمسيس الثالث ردّ هجومهم ، وبعد بضع سنوات احتلوا سورية وفلسطين ، لكنهم كُسروا مرة ثانية بقوة الملك . ويحتمل ان يكون ذلك جرى في الجليل . ففي سنة ١١٨٧ يجب ان يتعيّن مجيء عسكر رعمسيس الثالث الى بيسان ونصبهم فيها تمثالًا لملكهم .

بعد وفاة رعمسيس الثالث ، سنة ١١٦٧ ، يظهر ان جيش العملة من البحر المتوسط ، الذين كانوا يشتغلون في بيسان ، منذ عهد امنوفس الثالث والى زمن توحتمس الثالث ، قد استولوا هم ذاتهم على الحصن وملكوه ؛ ثم اختلطوا بالفلسطينيين وغيرهم من الغزاة الذين حاربوهم بادئ الامر .

وقبور هؤلاء العملة المستأجرين تختلف عن قبور العهد الكنعاني المتوسط . فان الاولى مدوّرة ، والثانية مكعبة . ونواويس هذه القبور اسطوانية الشكل ؛

ولبعضها ثقوب في اسفلها او مؤخرها. يحتمل انها كانت لتصريف سيلانات الاجسام.

نحو سنة ١٠٢٠ كسر الفلسطينيون الاسرائيليين في بيسان، غربي جبل جلبوع، وعرضوا جسد شاول في القلعة. ويظهر ذلك بنوع اجلى في الايام الاول (١٠: ٨) « وفي الغد اتى الفلسطينيون ليسلبوا القتلى، فوجدوا شاول وبنيه صرعى في جبل جلبوع. فسلبوه واخذوا رأسه وسلاحه وبعثوا يبشرون في ارض الفلسطينيين في كل جهة في بيوت اصنامهم وفي الشعب. ووضعوا سلاحه في بيت الههم وعلقوا جمجمته في بيت داجون » وجاء في سموئيل الاول (٣١: ١٠) « ووضعوا سلاحه في بيت عشتروت وعلقوا جسده على سور بيت شان. »

ومن هنا يظهر ان عبادة « البعل والبعلة » كانت بعد جارية في بيت شان، كما كانت على عهد رعمسيس الثاني: عبادة البعل في الهيكل الشمالي « لريشف »، وعبادة البعلة في هيكل « عنتيت ». وهذا يدل على ان كلا الهيكلين كانا مستعملين من زمن رعمسيس الثاني الى زمن الاسرائيليين، على اقل تقدير.

الظاهر انه نحو سنة ١٠٠٠، على زمن داود الملك، اخذ الاسرائيليون بيسان من الفلسطينيين. ويمكن ان يُنسب اليه هدم هيكل العشتروت وهيكل داجون. نقرأ في سفر الملوك الاول (٤: ١٢) « وبعنا بن احيلود في تعناك ومجدّو وكل بيت شان التي عند صرتان تحت يزرعيل من بيت شان الى آبل محولة الى ما وراء يُقمعام. » وكان من واجب بعنا ان يقدّم الاطعمة لسليمان الملك وبيته مدة شهر كل سنة.

وبعد قسمة ملك العبريين، عقيب وفاة سليمان، في زمن خلفه رحبعام، هجم شيشونك الاول على فلسطين، نحو سنة ٩٢٦ ودخلت عساكره مرج عزرلون ويزرعيل ونهبوا بيسان وتعناك وشونيم ومجدّو الخ.

ومن القرن الثامن الى غزو الشيتيين بقيت فلسطين تحت حكم الاشوريين. اما الشيتيون فكانوا قوماً هندياً - اوربيا، من الشمال الاقصى، دخلوا آسية الغربية بين سنة ٦٣٠ و ٦٢٥، مجتاحين اشورية وفلسطين الخ الى ان وصلوا حدود مصر حيث صدّهم الملك بسامتكس الاول. ويقول هيرودوت انهم رعبوا آسية الغربية مدة ٢٨ سنة. لكن المدة الاكيدة مجهولة.

في زمن اليونان والرومان كانت بيسان معروفة باسم سيثوبوليس اي مدينة الشيثيين . بيد ان النسبة هذه ليست با كيدة.

بعد سقوط المملكة الاشورية عبر الملك نيخو المصري في فلسطين سنة ٦٠٨ ، وانتصر على يوشيا ، ملك يهوذا ، في مرج عزرلون وواصل طريقه الى الفرات ؛ ولربما اجتاز في بيسان او ارسل قوات لاحتلالها . لكن انتصر عليه نبوكدنصر الذي كان ابوه نبوبلتر أسس المملكة البابلية الحديثة بعد خراب المملكة الاشورية . وتابع نبوكدنصر انتصاراته فوصل الى سورية وفلسطين.

على ان المملكة البابلية الحديثة لم تدم زمناً طويلاً ، اذ في سنة ٥٣٨ احتل كورش الفارسي بابل ، وأسس الدولة الفارسية القديمة التي شملت بعد ذلك داخل حدودها سورية وفلسطين.

واضمحلت هذه الدولة بظهور الاسكندر الكبير الذي دوّخ بلادها سنة ٣٣٢. وبعد موت الاسكندر، هجم على سورية الداخلية بطلميوس ابن لوكس من مصر ، ثم اضطر الى الانسحاب . لكنه عاد سنة ٣٠٢ واستولى على كل البلاد . وباستيلائه تنتهي الطبقة الرابعة من التل . .

الطبقة الثالثة : العصر اليوناني ، اليهودي ، الروماني

من سنة ٣٠١ الى ١٩٨ ق.م. ظلت فلسطين الا مدة فترات قصيرة — تحت حكم البطالسة . ونحو القرن الثالث ق.م. شيد على التل هيكل كبير لم يُكشف منه باكثر الا على الاسس . وربما كان مدخله من جهة الغرب . وشكله كشكل هيكل افروديت في مصر . ولا يعرف الا القليل ، في بيسان ، من زمن اليونان . فما عدا هذا الهيكل ، وجد قبور . ويعلم ان اهم المعبودات فيها كان ديونيسيوس واستارت.

سنة ١٩٨ ، خضعت البلاد لحكم الملوك السلوقيين ؛ بعد ان سعى الملك انطيوخس ، ثلاث مرات سابقاً ، في ان يستولي بنوع مستمر على فلسطين فلم يفلح الا سنة ٢١٨ حيث احتل بيسان. ويخبرنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، في «عادياته» ان «تريفون» مغتصب ملك سورية مدة حكم دمتريوس الثاني ،

ذهب الى بيسان في جيش ليقاتل يوناتان ، رئيس كهنة اليهود الذي كان تحت امرته ٤٠ الفاً من الرجال . وبحيلة حربية توصل الى قتله . وانتهى حكم السلوقيين في بيسان سنة ١٠٨ ، لما خان ابوقراط القائد ملكه انطيوخس وسلّم ، لقاء مقدار من الدراهم ، الموقع وما يجاوره الى يوحنا هرقان الزعيم ورئيس الكهنة الذي استولى على السامرة والبيرة.

وبقيت بيسان بيد اليهود الى حين وصول بمبيوس سنة ٦٤ حيث ابتدأ حكم الرومانيين . وبعد قليل عمرت بيسان في زمن غابينس الوالي الروماني الذي جاء البلاد سنة ٥٧ . واضحت مدينة رومانية حرة . ويقال انها اصبحت اعظم من اورشليم سكاناً وتجارة ، اذ كانت قاعدة المدن العشر التي — ما عدا بيسان — كانت كلها واقعة شرقي الاردن ، ويمكن ان يكون غابينس هو الذي بنى المسرح الكبير. وفي سنة ٦٦ ب م. ارسل نيرون واسبسيانوس لقمع ثورة اليهود في فلسطين. وقضت الفرقة الخامسة والفرقة التاسعة فصل الشتاء في بيسان . ويأسف يوسيفوس على ان كثيرين من سكان بيسان اليهود انقلبوا على اخوتهم وانحازوا الى جهة الرومان.

دام العصر الروماني الى سنة ٣٣٠ حين اسس قسطنطين الملك بزنطية قاعدة المملكة الرومانية المسيحية . لكن قبل ذلك العهد كانت المسيحية قد دخلت بيسان . وفيها استشهد كثيرون من المسيحيين في زمن اضطهاد داقيوس(٢٥٠) وديوقلسيانوس . واول مطران سُقّف على المدينة كان بتروفيلس الذي حضر المجمع الفلسطيني الملتئم سنة ٣١٨ ، وحضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥.

الطبقة الثانية : العصر البزنطي (الروماني الشرقي المسيحي)

هذه الطبقة بزنطية دامت من ٣٣٠ الى الفتح العربي ٦٣٦ . وقد وجدت فيها بقايا كثيرة من عهد البزنطيين ، منها كنيسة مدوّرة واقعة في قمة التل . وسور عظيم يحيط كل المدينة. وغير ذلك من العاديات. وبواسطة المؤرخين القدماء يُعرف انه كان في بيسان كنيسة مار يوحنا ، ومعبد الرسول توما . ومعبد القديس بروكبيوس الشهيد ، وكنيسة قديمة في وسط المدينة ، وكنيسة مار

باسيليوس . وكانت بيسان الكرسي المتروبوليتي لفلسطين الثانية (اي الجليل والبيرة) وبقيت هكذا الى زمن الصليبيين حيث نقل الكرسي الى الناصرة .

الطبقة الاولى : العصر العربي ، الصليبي ، الخ

هذه الطبقة دامت من ٦٣٦ الى نحو القرن التاسع عشر . وهي الحقبة التي بنيت فيها الابنية الاخيرة على التل وقد اخذت الحجارة المستعملة فيها من الابنية القديمة . ونقلت المدافن من المقبرة العظمى الى غير اماكن .

عند الفتح الاسلامي اتخذ البزنطيون بيسان موضعاً لحشد العساكر ، قصد وقاية فلسطين الثانية من هجوم الغزاة . بيد ان العرب هاجموا البزنطيين في السهل المغمّر بالمستنقعات ، بين بيسان والاردن . لكن بيسان لم تسقط الا السنة التابعة (٦٣٦) وما استولى عليها المسلمون نهائياً الّا بعد واقعة اليرموك . وكان فاتحوها شرحبيل ، فاتح طبرية وعكا وصور ، وموسس جند الاردن .

ويذكر المقدسي ، في القرن العاشر ، بيسان ، مادحاً نخلها ، قادحاً في مائها . ويقول ان جامعها واقع في المساحة حيث يصلي فيه المسلمون الاتقياء .

في عهد الصليبيين ، نقل لقب المطرنية من سيتوپليس اي بيسان الى الناصرة . لكن المدينة وضواحيها اضحت « بارونية بيسان » وكان اول سادتها آدم دي بيتون . شيد معقله على موقع المدينة القديمة في تلّ الحصن .

وفي سنة ١١٨٢ استولى عليها جنود صلاح الدين ونهبوها واحرقوا ما فيها . لكنها عمرت بعد ذلك ، وكان حاكماً عليها عز الدين سمح . وزارها ياقوت الحموي سنة ١٢٢٥ ، فقال انها مدينة من مدن الاردن في الغور ، تدعى لسان الارض .

وعدة مرات اقام الملك بيبرس في بيسان معسكره ، حين كان يحارب الفرنج والمغول .

ومنذ القرن الرابع عشر سقطت بيسان في حالة الخمول ، ولم يعد لها ذكر في التاريخ . اما في هذا العصر فبفضل السكة الحديدية بين دمشق وحيفا ، تحسنت احوالها ، وهي على الحال التي ذكرناها في بدء المقال .

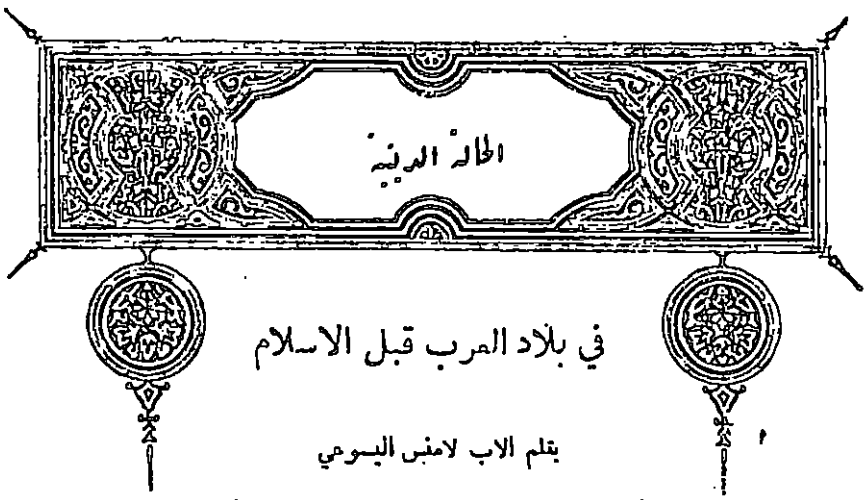

في بلاد العرب قبل الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

لا يزال المستشرقون يواصلون الابحاث عن وجود العاطفة الدينية في الشعب العربي قبل الاسلام ثم عن عمق هذه العاطفة ؛ وانهم ليبحثون طويلًا في هذا الموضوع. اما القرآن فانه يسم ذلك الشعب بالكفر بكل صراحة ووضوح (في السور ٩٨:٩ — ١٠٠ ؛ و٣٠:٣ ؛ و٤٩:١٤). هذا واننا نفتش عبثًا في ما وصل الينا من آثار الادب الجاهلي عن شعور ديني عميق او مظهر تقوي صحيح. فلا نجد اثرًا من ذلك كله في بقايا الشعر الجاهلي ، ذاك الشعر الذي نسبه رنست رينان الى « العبث وعدم التقوى » فاصاب ، لا كما حصل له اذ نسب الكفر الى التدين قائلًا « ان الكفر لموحد » فاخطأ كل الخطأ.

الكعبة

واننا نبدأ بحثنا بذكر الكعبة وما كان يجري فيها من مظاهر العبادة. وما الكعبة سوى بناء مستطيل الشكل غير مسقوف في اصله ، كان يُستعمل كإطار « للحجر الاسود » وهو اشهر معبودات القرشيين الذين لم يكونوا ليكتفوا بمعبود واحد . وقد رُمّمت الكعبة مرات وأُدخل عليها اصلاحات عدة كان آخرها في القرن السابع عشر فاصبحت مساحتها اليوم اثني عشر مترًا في عشرة امتار ، وعلوها خمسة عشر مترًا ، ولها باب يعلو مترين عن سطح الارض ويغطي جدرانها الاربعة من الخارج قماش ثمين يدعى « الكسوة ». اما « الحجر

الاسود » فموضوع في الزاوية الجنوبية الشرقيـة على علو متر ونصف المتر عن سطح الارض، غير بعيد عن حجر آخر يسمى « الاسعد ». وهـذا الاخير ينال شيئاً من مظاهر العبادة ، فيلمسه المؤمنون لمساً، ولكنهم لا يلثمونه كما يفعلون بالحجر الاسود. واذا القينا نظرة عامة على بـلاد العرب قبيل الاسلام نرى في جميع انحائها ، ولا سيما في الحجاز ، على تعدد العبادات وتنوع الطقوس المحلية، صفة مميزة شاملة الا وهي عبادة الحجارة الالهية او المؤلهة . كان البدو يدعون هذه الحجارة « بيوت الله » ويعتبرونها مقاماً للالوهية او تماثيل لهـا ، يتناقلون ذلك بالتقليد ويتوارثونه دون ان يهتم احد منهم بنقد هذه الحقائق او بالنظر في مضمونها . ولما كانت الكعبـة في مكان موافق مستفيداً من وجود بئر زمزم ، التي لم تلبث ان اصبحت بئراً مقدسة ، غدت نقطة مركزية جذبت اليها جماعات من البدو فتحضروا والفوا مدينة مكة .

عدم وجود الاوثان بالمعنى الحقيقي

على الرغم من خلو الجزيرة العربية من نظام مرتب للالهة يشبه ما نعرفه بالميثولوجيا اليونانية ، فاننا نرى في بلاد العرب عدة آلهة ذكوراً واناثاً نذكر منها المثلث الاقنومي اي اللات والعزى ومناة ، ثم ما يدعونه « ببنات الله » . على ان علاقات هذه الالهات بالآلهة لا تزال غامضـة . بل ان الالهات انفسهن لا يظهرن بوضوح تام في مجموع آلهة الجنوب او بلاد اليمن . ويجدر بنا القول ان الحجاز خصوصاً لم يعرف الاوثان بالمعنى الحقيقي ، اي التماثيـل المصنوعة او المنحوتة لتمثل الآلهة. وهو ما يشرح لنا سكوت القرآن عن الصور والرسوم الحقيقية ؛ لان محمداً ، لما لم يصادف في الجاهلية ما يثير الخواطر ويهدد التوحيد من تلك التصاوير والاوثان ، لم ير حاجةً الى القيام عليها ومحاربـة ارتيابها وتحريمها في القرآن . وذلك ان آلهة العرب كانت بمجملها من الحجارة على اختلاف انواعها وهيئاتها من صخور نائية ، ونصب قائمـة ، واعمدة مفردة او متعددة ، توالت عليها العوامل الجوية فاكلت منها واثرت فيها تاركةً لها هيئات غريبة قد يشبه بعضها هيئة الآدمي شبهاً بعيداً. وكان من هذه الحجارة ما كان

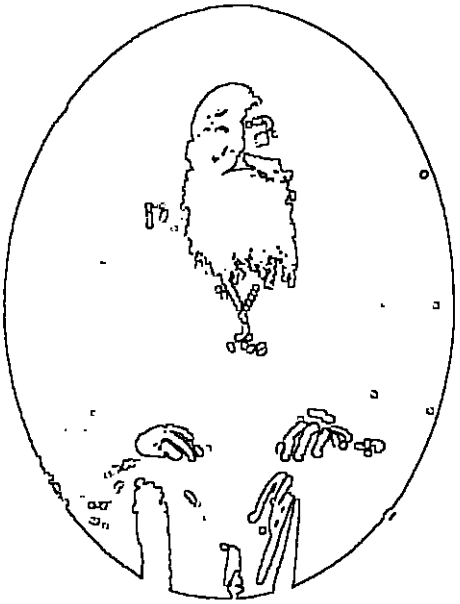

المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج

سيادة المطران يوحنا مراد
رئيس اساقفة بطلبك حالياً

سيادة المطران يوحنا الحاج
رئيس اساقفة دمشق حالياً

يظل ناشباً بالارض او عالقاً بالصخر ؛ ومنها ما يُنقل فيوضع ضمن إطار خاص « كالحجر الاسود » ؛ ومنها ما يُكتفى بان يُرفع حوله دائرة من الحجارة ليس غير وكان كثيراً ما يُحفر في جوار « الحجر» او النصب بئر يستقي منها الناس فيشربون ويغتسلون. وقد تكون شجرة قرب المكان فلا تلبث ان تُصبح بدورها مركزاً للالوهية او الهاً متجسماً ، يكرمها القوم فيعلقون عليها اسلاب الحرب ، او الاسلحة المقدَّمة ، او غير ذلك من النذور التي قد تكون خرقةً من قماش او قطعةً من ثوب.

وحول مركز الاله يمتدّ « الحرم » ، وهو مساحة من الارض مقدَّسة حتى لا يُمسّ من يلتجئ اليها سواء كان من الناس او الحيوانات ، بل من الشجر ايضاً فلا يجوز للناس ان يقطعوا غصناً واحداً من شجر الحرم . ولا يظنّ المطالع ان هذه المعابد البرية كانت آهلة بالسكان . لا فانها كانت تظلّ مقفرة اكثر ايام السنة حتى تأتي القبيلة — اذ كان لكل قبيلة او مجموع قبائل آلهة خاصة — فتجتمع فيها في ايام معلومة تُقضى بالاحتفالات ، منها الموسم المعقود في اوائل الخريف ، وموسم اوائل الربيع ، فيقدّم افرادها الضحايا واكثرها من الابل ، ويقومون بالطواف حول الحجر فيلثمونه او يكتفون بلمسه او استلامه في دوراتهم . وكان من واجب الحاضرين ان يقوموا ببعض التطهيرات والتحريمات الطقسية منها انهم كانوا يمتنعون عن الصيد واستعمال الاطياب. على ان الضحية المحرقة التي أوصي بها في التوراة كانت مجهولةً عند العرب. فكانوا يكتفون بصبّ دم الذبيحة — الذي كانوا يبدلون به الحليب بعض الاحيان — على النصب المعبود ، او في حفرة منقورة في اسفل النصب. ثم ينصرفون الى طعام طقسي كانوا يتناولون فيه لحم الذبيحة بعد ان يكونوا قد حلقوا رؤوسهم . حتى اذا تمت هذه الحفلة خرج المحتفلون من حالة الحرم فدخلوا حالة الحلّ فعادوا الى مشاغلهم واعمالهم وسائر مظاهر حياتهم العادية.

ومن تلك الانصاب او الحجارة المؤلهة ما كان يُحمل الى ساحة الحرب. وذلك اثناء المواقع المهمة الفاصلة بين القبائل وكذلك كانت تُحمل تلك الانصاب في بعض الاحتفالات الدينية كصلاة الاستسقاء مثلاً التي كانت تُقام زمن الجدب

والجفاف. وكانوا يضعون الحجر المؤلّه ضمن قُبّة من أدَم احمر تُخرج في موكب من النساء يُحيطن بها ويوقّعن التراتيل الطقسية والهتاف الديني على انغام الصنوج. ثم تختتم تلك الاحتفالات بالطواف سبع مرّات حول النصب. ومثل هذه الطوافات كانت تُقام مدّة الحجّ فتقود المحتفلين الى المواقف المختلفة او تصل بين الهياكل والمعابد المتجاورة. ومن عادات العرب الدينية التشوّف الى معرفة المستقبل بواسطة القِداح، اي السهام الخاصة بذلك، يخرجها «الكاهن» امام النصب، فتجيب عن السؤال المطروح بالنفي او الايجاب. وكثيرًا ما كانت تقوم «الكاهنة» مقام «الكاهن» المذكور.

الى هذه العبادات البسيطة العريقة في القِدَم كانت تمتّ عبادة القرشيين الظاهرة في الحجّ الى مكة بما فيه من مواقف في عرفة ومِنى وما اليهما، ومن دورات وطوافات في الصفا ومروة وغيرهما من الهياكل داخل مكة.

وقد احتفظ الحج الاسلامي باشهر مظاهر هذه الاحتفالات القديمة. على انه غيّر فيها بعض الشيء ليجرّدها من صفات الشرك، فالحقها بعبادة الله، وجعل مؤسّسها ابراهيم باني الكعبة.

اما في ما خصّ الحياة الاخرى وخلود النفس البشرية فلم يكن للعرب معلومات واضحة عن ذلك، وهم على ما فُطروا عليه من الاستسلام المطلق للقضاء والقدر. لكنهم كانوا يعتقدون بوجود الجنّ والجن، في عرفهم، مخلوقات غير واضحة التحديد، متوسطة بين الشيطان والانسان، تتزاوج وتتوالد كالناس، يخافها البشر لان بامكانها ان تختفي عن عيونهم، ولكنها خاضعة لشريعة الموت.

ومهما يكن من امر تلك المعبودات المتنوّعة، فاننا نرى، في القرن السادس، وهو القرن الذي ولد فيه محمد، ان «الله» اخذ بالبروز شيئاً فشيئاً والسموّ فوق جمهرة الالهة الخاصة ومجموع الانصاب المؤلهة. لقد ظل العرب يكرمونها جميعاً، ولكنهم بدأوا يعترفون مع اوس بن حجر «ان «الله» منهنّ اكبرُ»

خدمة طقوس العبادة

لم يكن للعرب نظام مقرّر تتدرّج فيه مراتب القائمين بطقوس العبادة على

نحو ما ندعوه اليوم بالاكليروس . بل كان خدَمة الهياكل على فئـات متنوّعة من كهنة ، وسدنة ، وعرّافين ، وزاجرين ، وعـائفين ، وقـائفين ... كان الكهنة او الكاهنات يرجون بالغيب ، ويسألون القداح ، ويقومون باحتفالات الاستسقاء ابتغاء المطر ، يلهمهم في كل ذلك احد الشياطين او الجنّ . امـا السدَنة ، جمع سادِن ، فكانوا حفظة الهياكل والمعابد . واما العائفون والقائفون فكانوا يشرحون مظاهر التفاؤل والتشاؤم ، ويفصلون الخـلاف في الانساب . وكان العائف يختصّ بشاطر الزَجر ، والقائف يستدلّ بشبه الاقدام وآثارها على النسابة والحاق الابن بابيه . وقد كان المحلّ الاعلى للكاهن فيسمو على هؤلاء جميعهم . بيد ان صفته لم تكن وراثية كصفة السادن . ومن خصائص الكهّان ان يسيروا مع الجيوش الى الحرب ، فيرافقوا القبة المشتملة على الالـه ، وان يلجأوا الى الغيب فيطلعوا قومهم على نيـات العـدو وسير جيوشه . كما انهم يقومون بوظيفة الحكَم او القاضي فيفصلون في الخلافات . وكان العرب يعتقدون في الكاهن ، وخصوصاً في الكاهنة ، قدرة سرية على استنزال المطر ، وزجر الارواح الشريرة ، وشفاء الامراض ، وردّ اللمنات ، والعمل بواسطـة اقوال غريبة سرية — كما نرى في حادث بلعام التوراة — على اضعاف العـدوّ فيكلّ سلاحه وتشلّ جميع حركاته .

بقي ان نقول كلمة في واد البنات الذي كثيراً مـا جرّ المستشرقون الى الاعتقاد بشموله بلاد العرب ، يستندون في ذلـك الى احتقار العرب لبناتهم وعدم الاكتراث لهنّ في اكثر مظاهر الحياة ؛ والى ما ورد في القرآن (١٦ : ٦١) من سؤال بسيط توسّع فيه الشعراء ، ولاسيما الفرزدق ذاك الفخور المدّعي ، في صدر الاسلام . اما الحقيقـة فهي ان ليس لدينا ما يؤيد وجود هذه العادة بين العرب ، ما خلا في قبيلة تميم التي قد تكون وأدت بعض بناتها ابان مجاعة شديدة .

اليهود

من المعروف ان اليهود احتلوا واحات الحجاز وقاموا بزراعتها واستثمارها . وقد كان اكبر جواليهم في المدينة حيث كانوا يقومون باهم المصـالح والصنائع كالتجارة والصياغة وما شاكلها . ثم سمحوا لبغض العرب — وهم الذين دُعوا

في ما بعد « بالانصار » - بان يقيموا معهم بصفة « موالي » لهم ولكن لما تكاثر عدد هؤلاء الموالي وشعروا بتفوقهم على اليهود ، اخذوا يعملون على الاستقلال بالسيادة . فاخذ البغض يتأصل بين الشعبين حتى ان محمداً ، بعد الهجرة ، قاسى من بغض اليهود ومقاومتهم له ما نرى صداه في القرآن . وكان في الطائف ايضاً جالية من اليهود . اما في مكة فلم يمثل اليهود الا بعض التجار الجوّالين . واما في اليمن فكانوا كثيري العدد حتى توصلوا زمناً الى تأسيس دولة يهودية لم تخلُ حياتها من مواقع دموية بينها وبين نصارى الاقليم .

وكان لليهود حاخامون وهياكل ومدارس وسائر مظاهر النظام مع جميع الآراء والاحكام الخاصة بالدين الموسوي التلمودي ، التي كانت تدفعهم الى الترفع على العرب فيدعونهم « أميّين » نسبة الى الامة الغربية ، لا الى الجهل بالقراءة والكتابة كما قد يفهمه البعض حتى في عصرنا ، او نسبة الى عدم وجود كتاب موحى بين ايديهم ؛ وينظرون اليهم من علُ ، على كون اكثر اليهود من اصل اسماعيلي اعتنق اليهودية في بلاد العرب . وقد تأثر اليهود بهذه العاطفة في مقاومتهم للاسلام ومجادلاتهم للمسلمين على ان ذلك لم يمنعهم ان يخوضوا انواع الشعر العربي وينبغوا فيه نبوغ غيرهم من العرب ، منصرفين الى الموضوعات المدنية الصرفة دون ان يخالفوا زملاءهم الوثنيين في اهمال ما يدلّ على كل اثر ديني ، حتى اننا لا نكاد نرى في شعرهم ما يشير الى يهوديتهم . وكان جميع اليهود من المتحضرين ، فلا نرى بين البدو قبيلة واحدة من اليهود ، بخلاف ما كان عليه مسيحيو العرب .

المسيحيون

كان المسيحيون اقل حظاً من اليهود في الحجاز من حيث الاقاليم التي نزلوها ، ومن حيث التعاون الجنسي . فلم تكن لهم تلك الواحات المخصبة التي احتلّها اليهود ولم يكن لهم ذاك النظام المتضامن . على ان النصرانية كانت واسعة الانتشار بين العرب المقيمين على حدود سورية ، ثم في دولة الغسّانيين ، وفي اليمن حيث كانت تقاوم بنجاح اليهودية . وكان يعضدها في منظر البدو نفوذ الدول المسيحية كدولة البزنطيين ، ودولة الحبش ، ودولة الغسّانيين

واللخميين . وهو عضد لم يعرفه الدين الموسوي . فكان في وادي القرى ، ثم على حدود سورية ، كثير من النساك والرهبان يعيشون افرادًا وجماعات متمتعين باحترام البدو واجلالهم كما نرى ذلك في الشعر الجاهلي ، وفي القرآن الذي حفظ صدى تلك العاطفة اللطيفة (في السور ٥ : ٨٥ ؛ و٢٤ : ٣٥ ... ؛ و ٥٧ : ٢٧) .

ولا نرى في مكة الا قليلًا من المسيحيين الوطنيين اي من بني قريش على انه كان فيها عدد لا يُستهان به من نصارى الاحباش تجارًا وعبيدًا .

اما اعمال المسيحيين فكانت تشبه اجمالًا اعمال اليهود منحصرة بالتجارة وما اليها ، خصوصاً بنقل البضائع بين المدن والواحات واحياء القبائل .

وقد كان جميع هؤلاء النصارى من تبعة البدع القديمة ينتسبون خصوصاً الى الشيع اليعقوبية والنسطورية والى نصرانية الحبش المتأثرة بالمبادئ اليهودية . ويظهر من القرآن (١٦ : ١٠٣ ؛ و٢٥ : ٨) ان محمدًا في مكة كان يرغب في مجالستهم .

على ان معاشرة هؤلاء النصارى المتكلمين لغةً غريبة (القرآن ١٦ : ١٠٥) والذين لا يعرفون دينهم حقّ المعرفة فيختلفون في الطقوس والعقائد (القرآن ١٩ : ٣٥ و ٣٨) لم تسهّل لمحمد اقرار فكره في ما خصّ عقائد النصرانية وقيمتها . فلم يتمكن اولًا من تمييزها عن اليهودية ، ومن تمييز هاتين الديانتين عن ديانة قديمة موحاة . وكذلك القول عن الوهم العالق بتلك الجماعة الصغيرة التي عاصرت النبي ودُعي دينها بالحنيفية ، وكانت موحدة لا من النصارى ولا من اليهود . فاعتقد محمد ، في اول الامر وقبل هجرته الى المدينة ، انه متفق مبدئيًا واصحاب الديانتين الكتابيتين ، حتى انه كثيرًا ما كان يطلب شهادتهم (القرآن ١٦ : ٤٥ ؛ و ٢١ : ٧ وما بعدها) فيرى في اتفاقه وايّاهم على العقائد التوحيدية برهانًا على صحة دعوته ، ودافعاً ليتابع عمله بين قومه في سبيل انتصار التوحيد . وقد تمنى بكل اخلاص (القرآن ٣٠ : ١) ان ينتصر البيزنطيون على الفرس المشركين . اما في المدينة ، بعد الهجرة ، فتحقق ، على اثر مناظراته مع اليهود ، البون الشاسع بين ما كان يدعو اليه وتينك الديانتين ، فاستنتج سوء النية عند اهل الكتاب جميعاً ؛ واتهمهم ، ولاسيما اليهود ، بأنهم اخفوا عنه كتبهم المقدسة اولًا ، ثم بأنهم حرّفوها فأفسدوا معناها .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفين (تتمة)

٩ البطريرك يوحنا الحاج

ولد في دلبتا في ١ تشرين الثاني سنة ١٨١٧ ، ودعي مرعي باسم جده . وكان والداه مثالاً حياً في العيشة المسيحية والتقوى ولما كبر اختار له مرشداً روحياً ينير عقله ويهذب ارادته الخوري يوحنا روفائيل ، احد تلامذة مدرسة رومية ، فالاعمال الصالحة التي رآها حوله والنصائح السديدة التي سمعها صادفت ارضاً خصيبة فانبتت واثمرت . فما كاد يبلغ ١٣ سنة من عمره حتى صرح بميله الى الكهنوت ، فأدخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠ . وفي ذلك الحين وجه البطريرك يوسف حبيش جلّ اهتمامه الى اصلاح الاكليروس ، فامر بان يزاد على بيان الدروس في المدرسة المذكورة تعليم اللغتين اللاتينية والايطالية فحاز مرعي قصبات السبق بين اقرانه علماً وادباً ، وسيم كاهناً سنة ١٨٣٩ باسم يوحنا . وفي تلك السنة عينها ارسله البطريرك الى بيت الدين ليدرس الحقوق على الشيخ بشاره الخوري ، الفقيه المشهور . وفي سنة ١٨٤٤ تولى القضاء برفقة الخوري يوحنا حبيب في عهد الامير حيدر اسمعيل فكانا يقضيان في دعاوي النصارى خارجاً عن المحكمة . وبعد ان استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء سمّى البطريرك يوسف الخازن المترجم قاضياً للموارنة في ديوان قائمقامية النصارى سنة ١٨٥٢ . ولما توفي الامير حيدر سنة ١٨٥٤ ، تولى الحكم الامير بشير احمد فتنحى الخوري يوحنا عن منصبه بسبب خلاف حدث بينه وبين الحاكم الجديد الذي كان يترع الى التدخل في امور العدلية ، وتقلد حالاً وظيفة امين اسرار

القصادة الرسولية في ايام السيد برونوني . غير ان الامير بشير احمد طلب سنة ١٨٥٥ الى البطريرك بولس مسعد اعادة الخوري يوحنا الى وظيفته السابقة في القضاء ، فامره البطريرك بالرجوع ، فشقّ عليه ذلك كثيراً لكنه اذعن لارادة رئيسه وسلك مسلك النزاهة والانصاف وعدم المحاباة. فلما رأى الامير استقلال القاضي في اجراء العدل دون مداراة خواطر تهيبه واحترمه احتراماً جزيلاً وتحاشى معارضته . وفي سنة ١٨٥٨ دبّر بعض الامراء واولياء الامر حركة على الامير فكان الخوري يوحنا من المناضلين عنه [1] .

وفي اثناء مذبحة سنة ١٨٦٠ نزل الخوري يوحنا وجميع اعضاء الديوان الى بيروت ، فرأى ما حاق بالمسيحيين من الجور والقتل والسلب والنهب فاحزنه هذا المنظر كثيراً وأهزل جسمه وجعله طريح الفراش. ومع هذا كله لم يكفّ عن المحاماة عن حقوق المظلومين بل اخذ قلمه وشحذ قريحته ووضع كرّاساً وصف فيه تلك الاعمال المريعة ، وبرّأ ببراهين سديدة ساحة ابناء طائفته من تبعة وقوع تلك الفظائع ، وسلم ذلك الكراس مترجماً الى الافرنسية الى السيد سيكابيترا رئيس اساقفة ازمير اللاتيني ، الذي كان موجوداً وقتئذٍ في بيروت، وسأله نشره في الاصقاع الاوربية واذاعة مضمونه على رؤوس الملا ، ليعرف اهل الغرب ما حلّ بمسيحيي لبنان وسورية من الويلات . وكان يعتقد ان ذلك انسب وسيلة لردع الظالمين ومعاقبة المذنبين والتعويض مما حدث من اراقة دماء وتخريب بيوت واحراق كنائس.

وقد شعرت الحكومة العثمانية بسوء عاقبة تدخل اوربة في الامر ، فأوعزت سرّاً الى عمّالها في الجبل وفي الولايات ان يسعوا لعقد الصلح بين الفريقين على طريقة مضى ما مضى ، ويحرّروا صكاً فيه يتنزّل المسيحيون عن طلب حقوقهم ويسامحون الجناة بالاضرار التي لحقت بهم . فأنشئ الصكّ المطلوب ووقعه موظفو الحكومة وكثير من الامراء والمشائخ واعضاء الديوان ولما عُرض على الخوري يوحنا ابى توقيعه مدلياً بحجج واهنة منها : اولاً ان الصك

---

١) الخوري منصور: المقاطعة الكسروانية ص ٢٢٣ و٢٢٤.

غير مبني على مبادئ العدل والانصاف وعليه لا يرى نفسه ملتزماً لا ذمة ولا شرعاً بامضائه. ثانياً ان ما وقع من المظالم لا بدّ ان يلفت نظر الدول الاوربية فتتفق بحال المسيحيين الشرقيين وتأخذ بناصرهم فمتى وجدت هذا الصك وعلمت بما حواه ان كذباً او صدقاً تعدل عن التدخل . ثالثاً انه ينجم عن توقيعه اضرار جسيمة تلحق بالايتام والاطفال الذين قُتل أهلهم ، وهو المحامي الشرعي عنهم . رابعاً انه سبق ونشر كراساً وصف فيه بتدقيق كل ما جرى فلا يقدر ان يكذب نفسه . فشقّ خبر رفضه كثيراً على اولياء الامر ، فاخذوا يلحّون عليه ويضايقونه فلم يتزحزح عن عزمه . ثم ابانوا له انه قد ينشأ من تمنعه هذا خراب عظيم لان المسيحيين قد تركوا املاكهم واشغالهم وتجارتهم وانهزموا الى الجبال ، ولم يبقَ منهم الا قليلون مختبئين في بيوتهم فاجابهم : « ان الخراب الذي تتوهمون حدوثه فعلى الدولة استدراكه » . قال هذا وهو متأكد في سرّه ان لا مناص له من توقيع ذاك الصكّ غير انه كان يماطلهم عن حكمة وفطنة اذ كان يأمل ان تصل قريباً نجدات اوربية ترفع الضيم فضلاً عن انه كان يرغب في ان يبلغ تسويفه هذا مسامعَ قناصل الدول فيثبت عندهم اصراره في مناصرة الحق واكراهه على التوقيع ، فلا يبقى لهذا الصكّ فائدة تُرجى ان صار البحث عنه فيما بعد .

واذ لم يعد في وسعه المماطلة والرفض وقع الصكّ بختم جديد غير مستعمل منه فاستشاط خورشيد باشا غيظاً ، وامره بان لا يختم بعد ذلك على ما يُقدّم اليه من الاوراق الا به . فلم يُعبأ الخوري يوحنا بكلامه ولم يستعمل قطّ ذاك الختم . وما مرّت مدة وجيزة حتى وفدت السفراء الفرنسوية ، فاجتمع مندوبو الدول للبحث عن كيفية تحصيل حقوق المظلومين فقدّمت الدولة العثمانية حينئذ صكّ المصالحة المذكور فلم يعيروه اهمية بل نبذوه قائلين : « ان قاضي الطائفة المارونية قد رفض رفضاً باتاً توقيعه ولم يختمه الا مقسوراً[1] » .

وكان قد توفي سنة ١٨٥٨ المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بعلبك ،

---

١) النبذة ص ٥٠ وما يليها .

فعيّن البطريرك بولس مسعد الخوري يوسف اصاف رئيس مدرسة مار عبدا هرهريا لادارة الابرشية في مدة ترملها . وبقيت هذه الحال الى سنة ١٨٦١ ، فوقع الانتخاب على الخوري يوحنا فسيح اسقفاً في الديمان في ١٥ آب من تلك السنة . فاتخذ المطران الجديد دير سيدة الحقلة محلًا لاقامته ، اذ لم يكن للابرشية كرسي ثابت ولا املاك خاصة . وكان سلفاؤه يقيمون في الاديرة التي لمياهم حقّ الولاية عليها ، فالمطران انطون الخازن ، الذي دبّر الابرشية اكثر من خمسين سنة ، عاش في دير بقلوش الخاص باسرته الخازنية . وكان قبله المطارنة جبرائيل الاول ، وجبرائيل الثاني ، وبطرس ، وثلاثتهم من عائلة مبارك ، سكنوا في دير ريفون الخاص بعائلتهم . غير ان المترجم كان يقضي ، وهو مطران ابرشية ، قسماً من كل عام في الكرسي البطريركي قياماً بما كان يعهده اليه البطريرك بولس مسعد من الامور ، لانه كان يعوّل عليه لما كان عليه من اصابة الرأي في حلّ المشاكل .

وفي ذلك الحين كانت ابرشيته في اسوأ حال ، بعد ان لبثت ثلاث سنين بدون راعٍ ، وحدثت ثورة الاهالي على المشائخ ؛ فباشر حالًا زيارة رعاياه ليصلح ما خلّ ويكمل ما نقص . فاستدعى اليه الخوري فرنسيس الشنالي الواعظ الشهير ، وأرفقه ببعض الكهنة ، فكانوا يتقدّمونه ويهيئون النفوس بالوعظ والارشاد وتوزيع الاسرار . وافتتح زيارته هذه في بلدة مزرعة كفردبيان التي كانت وقتئذٍ من ابرشيته ، وهناك وافاه بعض العرب البدو كان سكّان المزرعة نهبوهم ، فشكوا امرهم الى المطران فأنصفهم وردّت اليهم مسلوباتهم . وفي سنة ١٨٦٢ زار مدينة بعلبك وجوارها وبعد ان فاوض والي الشام مفاوضات طويلة ، نال تنصيب عضوٍ ماروني في محكمة ذاك القضاء ليناضل عن حقوق ابناء طائفته في تلك البقاع .

وكانت غرفته الحقيرة في دير الحقلة محجا لكل اللبنانيين على اختلاف اديانهم فيقبلون اليه من كلّ فجّ وصوب ، لانهم كانوا يعتبرونه ليس رئيس دين فحسب بل قاضياً وحاكماً فيقضي حاجاتهم ويفكّ مشكلاتهم . ولما صدر الامر بمسح الاراضي في لبنان ، اتفق سكان الشمال وكسروان على معارضة

الحكومة ؛ غير ان المطران يوحنا رأى ان الفرصة موافقة لاجراء المسح لوجود بعض ظروف تساعد على حفظ العدالة والتسوية فطلب مباشرته والبدء به في قرى جرود كسروان . ومن ثم توجه الى مزرعة كفردبيان ولبث ملازماً مأموري المساحة مترصداً تخمينهم ، ليس فقط في قرى ابرشيته ، بل في كل قرى كسروان مدرباً اياهم في اعمالهم كي لا يتجاوزوا العدل والانصاف ، مدافعاً عن حقوق المظلومين ، ومناضلاً عن املاك الاوقاف ، ومسكناً المشاجرات والمخاصمات ، حتى انتهى المسح سنة ١٨٦٥ . وفي آخر تلك السنة ثارت الفتنة بين داود باشا ، متصرف الجبل ، ويوسف بك كرم . فنهض هذا الاخير برجاله وجاء دير مار ضوميط البوار ، فارسل اليه البطريرك بولس مسعد المطرانين يوحنا الحاج ويوسف جمجع ليوضحا له غوائل فعله الوخيمة ويقنعاه بالرجوع عن غيّه ، فلم يرضخ لكلامهما بل شهر الحرب وجرى ما جرى كما يذكر التاريخ .

وقد فكر المترجم منذ السنة الاولى لارتقائه درجة الاسقفية في تزيين بيت الله ، فاستجلب الشيء الكثير من الآنية المقدسة والصور والملابس البيعية والزهور والشماعدين وما هو من نحوها ، ووزعها على كنائس ابرشيته مراعياً في توزيعه احتياج كلّ منها ومقدرتها المالية . واعتنى في تشييد الكنائس منها كنيسة مار جرجس في صربا فقد اشترى لبنيانها قطعة ارض من وكيل بطريرك الروم الكاثوليك غريغوريوس يوسف كان هذا الاخير اعدّها لاقامة مدرسة لطائفته .

وفي سنة ١٨٧٤ جاء لبنان راساليون انكليز مصحوبون بكتابة من الحكومة العثمانية تؤذن لهم بجرّ ماء نهر الكلب الى بيروت ، فتصدّى لهم اصحاب المطاحن والاراضي خوفاً من الخسارة التي تلحق باملاكهم من جرّاء قطع الماء عنها في فصل الصيف . فمنع ذلك « تعاطى امر الوفاق بينهم المطران يوحنا الحاج واخذ من التجار المذكورين بدل التعطيل الى دير مار يوسف البرج لقاء تعطيل طاحونه ١٢٥ الف غرش له والى دير سيدة اللويزة قدرها والى باقي اصحاب الاملاك كل بقدر ما لحقه من الضرر وربط الوفاق بين الرهبان والشركة باثني عشر شرطاً درجت مع صكوك البيع في سجلّ المحاكمة بمركز المتصرفية » .[1]

١) الخوري منصور : المقاطعة الكسروانية ، ص ٣٠ وما يليها .

واما عمه الاكبر فكان انشاء كرسي لابرشيته فاخذ يجهد نفسه في هذا السبيل ، فوفقه الله الى ذلك باقرب وقت فابتاع اولا املاكاً في لاسا من المشائخ الحمادية المتاولة ، ثم في افقا والمغيرة وقرقوريا ، وفي سرعين وشمسطار في بلاد بعلبك ، وفي الماقورة وبستان العصا ، ثم في الكفور وفتقا والجديدة وعرامون ودلبتا وغزير وجونية ، وفي امكنة غيرها . وقد اشترى كل ما اشتراه من دخل الابرشية ومن التقادم الكثيرة المرفوعة اليه من الذين كانوا يتقاطرون اليه ملتجئين لتدبير امورهم : ولما كانت قرية عرامون واقعة تقريباً في وسط ابرشيته رغب في ان يجعل محل اقامته فيها ، فابتاع سنة ١٨٦٧ دار الشيخ ناصيف الدحداح ، انما حال دون بناء الكرسي فيها دواع صوابية . وفي ١٨٨٠ اشترى دار قعدان بك الخازن فرممها وجعلها لسكناه ولسكنى حاشيته .

وفي شهر نيسان من سنة ١٨٩٠ توفي البطريرك بولس مسعد ، فخلفه المطران يوحنا الحاج ، ونال التثبيت وردع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك ، في ٢٣ حزيران من السنة عينها . وحينئذ خص الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها في مدة اسقفيته ، ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية يدرس فيها النتخبون من المدارس الاكليريكية الاخرى الشرع البيعي والعلوم العالية ، واختص مدرسة عين ورقة بهبة عودتين مساعدة لها واقراراً بالجميل لانه كان من تلامذتها ، وابقى لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة المطران ومدرسة اكليريكية على سعة[1] .

ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طراز حديث حتى اصبح قصراً لائقاً بمقام رئيس امة كبيرة ، وشرع في تشييد مصيف جديد في الديمان بعد قليلاً عما بناه البطريرك يوسف حبيش انما لم يُتمم منه الا قسماً سفلياً : « وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر[2] ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلمون العلوم الكهنوتية

---

١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ .

٢) أعلن رسمياً افتتاح مدرسة الموارنة الرومانية ببراءة « *Sapienter olim* » مؤرخة

بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة الحكومة الافرنسية واشترى ايضاً في القدس بواسطة نائبه الفيور المقدام المطران الياس الحويك داراً يقيم فيها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء طائفته المقيمين والمترددين الى هناك ». [1]

وكان البطريرك يوحنا الحاج في كل ايام حياته صديقاً مخلصاً للمرسلين اللاتين ، ومحامياً شجاعاً عن مشاريعهم وله في ذلك مواقف عديدة منها موقفه سنة ١٨٩٤ ، لما استدعى البابا لاون الثالث عشر بطاركة الشرق ليستطلع آراءهم في احوال الكنائس الشرقية ، واخص الوسائل الواجب اعتمادها في سبيل اصلاح شؤونها ، واعادة المسيحيين المنفصلين الى وحدة الكنيسة ، ووضع قواعد وطيدة وترتيبات راهنة[2] . فاعلن البطريرك ، برسالة الى البابا ، خضوعه التام لكل ما يأمر به الكرسي الرسولي ، وجاهر بجزم ودون مراعاة بشرية بالاعتراف بجميل صنيع مجمع نشر الايمان الذي يسعى من مدة اجيال وراء غاية سامية وهي انماء مجد الله وخلاص النفوس ، واثنى على القصاد الرسوليين الذين استشعروا روح المجمع المقدس ووضعوه موضع العمل ، وعلى المرسلين اللاتين الذين كفروا بذواتهم وضحّوا بكل شيء لدن كل مائتة حتى بذلوا حياتهم ايضاً دون نشر نعم الرسالة بين الشعوب . وقد قال : « ليس في الكنيسة لا يونان ولا لاتين ولا ارمن ولا موارنة بل مسيحيون خاضعون لنائب المسيح » . فاستحق المدح والشكر على صراحته وشجاعته ، فكتب اليه الحبر الاعظم في ٧ اذار سنة ١٨٩٥ ومما قال هذا « وانت بصفة كونك الوارث والحارس لايمان وتهذيب اجدادك الذي حفظته طائفتك الكريمة صحيحاً سالماً تستحق اطراءنا ولست تبقي لنا محلاً للريب في انك وان لم تشهد بنفسك الاجتماعات التي عقدناها مع الاخوة المحترمين بطاركة المشرق تسلم بكل الامور التي قررناها ووضعناها في رسالتنا الرسولية التي اصدرناها عقب ذلك وعليه فاننا بل المحبة الابوية نعانقك ونعانق

---

١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ . في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩١ .

٢) ان تلك القواعد والترتيبات قد ضمنها الحبر الاعظم في رسالته العجيبة الصادرة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ المبدوءة بالكلمات التالية : « ان شرف الكنائس الشرقية » (*Orientalium dignitas Ecclesiarum*) .

المؤمنين الذين تحت ولايتك ونريد ان تكونوا على يقين من اننا سنحرص كل الحرص كما فعلنا مرارًا من قبل على سلامة صيانتكم ومجدكم . . . » ومما كتب اليه الكردينال ليدوكسكي ، رئيس مجمع نشر الايمان المقدس ، في ١٨ شباط سنة ١٨٩٥ م حرفيته : « فهذا الرقيم (المرفوع الى الاب الاقدس) . . . أراه خليقاً برئيس الكنيسة والطائفة المارونية الكريمة التي باتحادها الدائم الصادق بكرسي القديس بطرس المعصوم من الغلط قد حافظت ودافعت في الشرق عن الايمان الكاثوليكي المقدس في كل آونة من تاريخ الكنيسة وعملت على ارجاع الطوائف المنفصلة من ذوي الطقوس الاخرى ولاسيما السريان والروم الملكيين في القرن الحالي . »[1]

وقد كتب من عرف هذا البطريرك من المؤرخين انه « كان ماضي العزيمة عالي الهمة صائب الرأي قد حنكته التجارب العديدة وسبر غور تقلب الايام وعرف مواقع اعمال الرجال وكيفية التصرف في كل المسالك ولهذا لم يحدث في عهده حادث يهم ذكره بل كان السلام والامان مخيماً فوق ضواحي لبنان وقد شهد لهذا البطريرك حتى خصامه انه داهية عصره وشيخ دهره وقيل انه لم يعثر عثرة كان فيها مغلوباً انما كان الفوز يلازمه في كل اعماله وتصرفاته مع حدة طباعه »[2] ويروى عنه في التدبير ومعالجة الامور مع الحكام والرجال السياسيين نوادر تدل على دهاء مدهش غريب . ومن جالسه رآه متقدًا حباً لطائفته ، وعاملًا بكل مكنته على اعلاء شأنها ورفع منارها ، غير هياب من ناوأه او ضاده في ذلك . عاش بطريركاً ٨ سنين ، توفي في ٢٤ ك١ سنة ١٨٩٨ ، وله من العمر ٨١ سنة ، ودُفن في كنيسة كرسيه في بكركي .

١٠ موسى مراد

ان المترجم جعل لعائلته منزلة كبرى فاصبحت من اوجه الاسر في كسروان . لبث مدة وكيلًا على ارزاق الامير يوسف شهاب والمشائخ الخازنيين في ضبيه

---

١) الخوري ميخائيل غبريل : تاريخ الكنيسة المارونية ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨١١ و٨١٢ ٢) الكتاب المذكور ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨٠٢

والنقاش وحالات ، ثم تعاطى تجارة الحرير مع دمشق فربح منها اموالاً جزيلة ، وانصبّ على مشترى العقارات حتى قيل انه امتلك بجدّه ومالـه نحو مائة « عودة » واصبح من اكبر المتموّلين والملّاكين في مقاطعته . وكان لـه حظوة كبرى في عيني الامير بشير الكبير ، فجعله صرّافاً على اخيه الامير حسن الذي توفي سنة ١٨٠٨ ولما التأم مجمع الطائفة المارونية المعروف بمجمع اللويزة سنة ١٨١٨ ، اقامه الامير بشير صرّافاً على المجمع المـذكور . واذ تأكد ان ولده نجماً صار قادراً على مواصلة اشغال متجره تنازل له عنها سنة ١٨٣٨ . اما هو فانصرف الى الاعمال الروحية . توفي سنة ١٨٤٧ في الثالثة والثمانين من عمره . وله اياد بيضاء على كنيسة مار يعقوب واوقافها .

١١ الخوري يوسف الشاعر

ان المذكور من عائلة الخوري ، ولد سنة ١٨٣٤ وقضى مـدةً في خدمة الخوري يوحنا حبيب الذي كان وقتئذٍ قاضي النصارى . فبعد ان توسّم فيـه مخدومه ملامح التقوى والنجابة ادخله مدرسة مار عبدا هرهريا ليتهذّب التهذيب الاكليريكي ويقتبس العلوم . ولما انهى دروسه رجع الى خدمة الخوري يوحنا . وفي سنة ١٨٥٦ رُقّي الى درجة الكهنوت بوضع يـد المطران يوسف رزق ، وقد استدعاه سنة ١٨٥٩ مطران بيروت ، طوبيا عون ، بمساعي الخوري يوحنا حبيب ، الى وظيفة امين اسراره ؛ فما لبث ان اكتسب نفوذاً عالياً ونال نجاحاً باهراً في اعماله ؛ فاخذ المطران يعتمد عليه في اتمام اشغاله وانجاز مهامه وعيّنه ، عند سفره الى رومية سنة ١٨٦٢ ، نائباً عاماً على الابرشيـة ، فـاش النفوس بكل غيرة ، وادار املاك الكرسي بكل امانة ، وفكّ المشكلات المعترضة له بكل حكمة حتى صار له منزلة كبرى ليس عند ابناء طائفته فحسب بل عند عموم الطوائف ومعتمدي الدول .

وبعد رجوع المطران طوبيا رغب في ان يجعله اسقفاً معاوناً له ، وقد سعى كثيراً في سبيل ذلك ، غير ان الظروف عاكسته فسمّاه نائباً عاماً على الابرشية وقدم عريضة الى الحبر الاعظم بيوس التاسع التمس فيها تثبيت هـذا التعيين

ومنح كل الانعامات المتعلقة بهذه الوظيفة وذلك ليمنع كل العراقيل . فاجابه البابا الى طلبه بواسطة مجمع انتشار الايمان ، وهذه حرفية الجواب مسطرة على العريضة المذكورة : « انه في المواجهة الواقعة في ٢٥ حزيران سنة ١٨٧٠ قد تفضل بحلم قداسة الاب الاقدس البابا بيوس التاسع وامرني انا المدوّن اسمي ادناه لودوفيكوس جاكوبيني كاتب اسرار مجمع انتشار الايمان المقدس فيما يتعلق باعمال الطوائف الشرقية بان أعلن انه اجاب التماس سيادته المنوّه به اعلاه ومنح التفويض المطلوب للاب الموصى اليه . . . [1] » . فسلم المطران طوبيا الخوري يوسف اعلاماً بوظيفته وارسله ، فزار الابرشية ومنح الاولاد سرّ التثبيت وتمم مقتضيات الزيارة الرعائية من وعظ وارشاد وحل مشكلات وانجاز دعاوٍ وذلك بكل امانة ونشاط حتى شهد الجميع بكفاءته . وبعد وفاة المطران طوبيا ، ارسل البطريرك بولس مسعد من يطرف في المدن والقرى مستفتياً الاهالي لانتخاب مطران جديد ، فنال الخوري يوسف اكثرية الاصوات . غير ان البطريرك امر باعادة الانتخاب لانه يريد ان يقف على هذه الابرشية المهمة كاهناً يعرف لغة اوربية . فلما درى اهل بيروت بنية البطريرك سلموه تدبير الامر وحذا حذوهم سكّان المعلقة والحدث وبعض الامراء . فعند ذاك اظهر الخوري يوسف من حسن التصرّف ما اعجب الجميع فأعلن انه لا يرغب ولا يحبّ ان ينتخبه احد ، فرقي حينئذٍ الخوري يوسف الدبس الى درجة الاسقفية سنة ١٨٧٢ واما المترجم فترك بيروت ، وجاء دير الكريم ، فقريته دلبتا . وفي سنة ١٨٧٥ عُيّن قاضياً لمحكمة قضاء كسروان فافتقدته هذه الوظيفة كثيرين من اصحابه ومحبّيه . وسنة ١٨٨٣ حكم متصرف لبنان واصه باشا بان لا يكون قضاة المحاكم من الكهنة فعُزل الخوري يوسف من منصبه في محكمة كسروان ، ولم يكن حينئذٍ باقياً من القضاة الكهنة في محاكم الجبل غيره . توفي سنة ١٨٨٨ [2] .

---

١) النبذة ٥ ص ٨٢ . ٢) النبذة : ص ٨٤ وما يليها .

انتهى

وفادة البطريرك يوسف العاقوري

الى مدينة رومية

بقلم الاب توتل اليسوعي

الا حضرة القس فيلبوس حنا واكد حبيش الغزيري الانطوني عرض علينا رسالة وجيزة عثر عليها بين اوراق اسرته ، وهي مؤرخة في ١١ تموز سنة ١٦٤٦ ، وموقعة ومختومة باسم « الحقير يوسف بطرس البطريرك الانطاكي » ، موجهة الى الشيخ طربيه حبيش ؛ وسألنا رأينا فيها ، واقترح علينا نشرها في المشرق ان كان لها فائدة فتحفظ من ايدي الضياع .

وبعد النظر والبحث فيها استحسنا الاقتراح واليك نص الرسالة مع بعض التعليقات التي سوف تساعد على فكّ الغازها .

وليس من سبيل الى الشكّ في صحة نسبة هذا الاثر الى زمانه ومكانه ومؤلفه ، ولون الورق وسمكه وحبره وانشاء الرسالة الشاهد على قدمها . طول البطاقة ٢١ سنتمترًا ونصف وعرضها ١٤ سنتمترًا ونصف واليك نصها :

« البركة الالهية تشمل جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه حبيش ادام الله تعالى شريف وجودكم للدوام

غب اهداكم البركة الالهية ومزيد كثرة اشواقنا لرؤياكم السعيد والسؤال عن خاطركم ان شاء الله يا جناب الشيخ تكونوا بكل صحه وتوفيق ونحن ربنا عاطينا صحه زايده فقط نحن مشتاقين اليكم صار ماضي شهرين ما شفناكم نرغب مشاهدتكم . ثم نعرض لجنابكم ما جد عندنا نهار الاحد حضروا لعندنا اخوتنا المطارين وتحطينا معهم باشيا ماضيه وحاضره وتم راينا معهم ان نبعت الى روميه المقدسة وبلاد الفرنج احد اخوتنا المطارين وهو المطران مخايل مطران طربلوس لاجل بعض اشغال وعند حضوره لداركم يعرض لجنابكم ما به الكفايه ومن يكون لكم الشهره بجميع البلدان وبالخصوص عند الدول بما انكم من اعظم اشراف جبل لبنان وهذا مبرهن عند الجميع ان سطوتكم مشهورة في الشرق والغرب ونحن واخواننا المطارين لنا امل زايد في جنابكم وفضلكم سابقة علينا وعلى عموم الطايفه بالمساعده ومرغوبنا الان من جنابكم ان تصحبوا اخرنا المطران مخايل الذي هو متشرف بداركم العامره بكتابه قويه ليكون معروف عند الدول وربنا يقدرنا على مكافاتكم ونحن واخوتنا المطارين

فارضين صله حتى ربنا يحفظ لنا وجودكم لانكم ملجا للجميع واخواتنا المطارين جدوكم اشواقهم القلبية وتكرار البركة الالهية حرر في ٢١ تموز سنة ١٦٤٦ الحقير

يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي »

ما هي الاشغال التي شغلت البطريرك الماروني ومطارنته والجأتهم الى ارسال مطران طرابلس الى رومة وبلاد الافرنج ، والاهتمام بتزويده بكل ما كان يحتاج اليه في تلك الايام لتذليل العقبات بوجهه ؟

قد يتبادر للفكر ، في اول وهلة ، ان المطران سافر لجمع الحسنات ، وهذا ما رآه حضرة الاب بطرس قرألي صاحب المجلة البطريركية في نشره اثرنا هذا في عدد حزيران الفائت. ولم يزد عليه من شرح او تعليق . والامر معقول ومناسب لما نعرفه عن عادة استغاثة المسيحيين الشرقيين باخوانهم الافرنج ابان المحن والضيقات . ومما يرجح صحة هذا التأويل قراءة ما كتبه الدويهي عن السنة ١٦٤٦ المؤرخة فيها رسالة البطريرك يوسف ، قال :

« في سنة الف وستماية وستة واربعين مسيحية أنزل حسن باشا عن ايالة طرابلس . وعاد اليها محمد باشا الارناؤط . وقام بكوخيته ابن الصهيوني . والحاج قر الدين . وكانت السنة رخصة . ولكن دخل فيها نيسان بارد وكثير المطر . فانضربت شجرية الجوز والكرم والتوت وطلعت مواسمهم ممحلة . حتى ان نصف رطل البزر عمل في بعض اماكن رطلين شرانق . وحكم الطابق البوش والسايقة وقبل هذا الآن كان غلال الزيتون في القسم النصف الفلاح وربع للسلطنة وربع مظلمة . فداروه خراج . وكان ضمان مال طرابلس وايالتها بثلاثة كرات تورد للسلطنة . فقطعوا على كل فدان وعلى رأس الانسان اربع وعشرين قرش . على ماية الزيتون خمس قروش . وعلى ماية التوت اربعة ونصف فانضامت الرعايا وتشتتوا عن مواطنهم . وخلت بعض ضياع بتمامها . » (١)

فلا بد ان تكون تلك الازمة الشديدة حركت الشفقة في قلب البطريرك فكانت مدعاة لارساله المطران مخائيل والتوصية به بيت حبيش لينال بواسطتهم اللقاء الحسن من جانب المحسنين .

على ان المقابلة بين تاريخ الرسالة وبين تواريخ انتخاب وتثبيت البطريرك يوسف بن حليب العاقوري تتخطى بنا الى ابعد من ذلك ، الى مباحث ونتائج

---

١) عن مخطوط كرشوني مؤرخ في ٨ شباط ١٧٩٧ ، اقتنته المكتبة الشرقية حديثاً .

يرتاح اليها الخاطر ، وان لم تكن تضطره الى اليقين في صحة امرها.

من المقرّر ان انتخاب البطريرك يوسف الطاقوري تمّ في ١٥ آب سنة ١٦٤٤، ومن المقرر ايضاً ان التثبيت لم يأته من رومة الّا في ١٠ ايلول ١٦٤٦. فلماذا هذا التباين بين تاريخي الانتخاب والتثبيت ؟

قال الدويهي في تاريخ الازمنة [1] :

« في الخامس عشر من شهر آب (١٦٤٤) تخلف على [البطريرك جرجس عميره] في الكرسي يوسف ابن حليب اسقف صيدا. . .وقدم الى رئاسة الكهنوت مخايل سماده الحصروني على مدينة طرابلس

وفي سنة ١٦٤٥ ارسل قصاده لرومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس ابن مخلوف الفوسطاني. . ليطلبان التثبيت وان يكرم بطبع الفرماطيق. . وفي شهر ايلول من السنة الثانية [١٦٤٦] اعطام [البابا] على ما بخاطرهم ، وارسل الى البطرك التثبيت . . . »

فهل يكون تأخر التثبيت مسبباً عن تأخر وصول الوفد الى رومة ؟ كلّا لان الفراماطيق المذكور طبع سنة ١٦٤٥ في رومة [2]. وكتب القس عبد المسيح انه وصل الى رومة في ٢ تموز سنة ١٦٤٥ [3]

وهل يكون سبب التأخر السبب نفسه الذي حال مدة سنتين دون تثبيت البطريرك ابن عميره بعد انتخابه ؟

روى حضرة الاب ابراهيم حرفوش عن كتابة باسم المطران جرجس حبقوق نشرها في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٨٩) ان جرجس بن عميرة لما اقيم بطركاً « بعث لرومية القس ميخائيل الحصروني حتى يجيب له تثبيت من قدس الحجر الاعظم من غير شور مشايخ الشعب ومكاتيبهم . وعند ما وصل القاصد لرومية فكان هناك ثلاثة مطارين من الموارنة وهم المطران سركيس بن الرز والمطران جرجس ابن مارون من اهدن والمطران اسحاق الشدراوي . . . وعندما عرفوا في المرسال قالوا له : ابن مكاتيب حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وباقي اعيان الطائفة . فقال لهم الحق ولم يقدر ان ينكر قائلاً : « ان

---

١) في المخطوط المذكور.

٢) راجع ديب : الكتبة الموارنة ، في « الموسوعة اللاهوتية الكاثوليكية الافرنسية » (١٠ : ١ ، ٦٧).

٣) راجع الدبس : الجامع المفصل ، ص ٢٠٧.

البطرك ما شاور احد لا بيت الخازن ولا غيرهم . فقالوا له : ما يمكن ان يتم لك حال اذ لم تجي مكاتيب المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش . فالتزم انه عاود فارغ خايب من التثبيت لعند بطركه . وعند ما تحقق جرجس ابن عميرة ان لم يصير له تثبيت بطركية على ملة الموارنة الا برضا المطارين والاعيان المذكورين اضطر انه اجتهد اجتهاداً جزيلاً على حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وطيلع منهم مكاتيب ومن المطارين الموجودين عنده في بلاد الشرق وسفر بهم القاصد ثانياً الى رومية حتى جاه التثبيت ».

فينتج من هذه الوثيقة ان اساقفة الطائفة المقيمين آنذاك في رومة اشترطوا على تأييد جرجس عميره في طلبه ان يكون مشفعاً بتوصية كبار الطائفة واعيانها. ولم تمانعهم رومة في اشتراطهم بل جارتهم على رغائبهم.

فيكون من المرجح اذن ان غرض سفر المطران الى رومة كان ، ليس فقط جمع الحسنات ، ولكن ايضاً طلب تثبيت البطريرك يوسف.

وليس كلام الدويهي في ان البابا «اعطاهم على خاطرهم» اعني القس عبدالمسيح ورفيقه لينفي امكان تدخل المطران بالامر، وفي علمنا انه في ٢١ تموز سنة ١٦٤٦ (راجع الوثيقة) كان على اهبة السفر الى رومة . فلما وصل اليها ساعد بنفوذه الشخصي وبتوصية المشايخ التي كانت بين يديه على ازالة العوائق التي كانت تحول منذ سنتين دون تثبيت البابا للبطريرك يوسف . وقد يترجح هذا الرأي اذا كان من ثم اسباب لذاك التأخير.

وهناك حادث آخر تفيدنا معرفته في تعليل هذا التأخير:

في ٥ كانون الاول من سنة انتخابه (١٦٤٤)، عقد البطريرك يوسف العاقوري مجمع حرش ، وفيه عني الاحبار والآباء المجتمعون بنص القوانين التي كانت ترمي الى اصلاح ما وقع من الخلل في النظامات الطقسية القديمة وفي جملة تلك القوانين اعلن المجمع بنودا غايتها كبح جماح كل من يتعدى السلطة المألوفة المحلية ، ورشق بالحرم الكنائسي الكهنة الاجانب من لاتين وشرقيين الذين يقدمون على سماع اعترافات الموارنة ومناولتهم القربان المقدس من غير تفويض البطريرك ، ونال بالحرم ايضاً الموارنة الذين يقبلون هذين السرين من ايدي هؤلاء الكهنة.

وقد يكون الدافع لوضع هذه القوانين البطريرك ذاته ، فانه كان سبق زمن جلوسه على الكرسي وتهدّد بمثل تلك العقوبات الموارنة الذين يقصدون الى المرسلين للغاية المذكورة . ففرّط ، ورفعت رومة صوتها محتجةً ، وارسل مجمع انتشار الايمان رسالة «امر فيها ان يُنذر (*moneri*) بطريرك الموارنة انه ما كان له ولا عليه ان يتعدّى حق الكرسي الرسولي ، ويرشق بالحرم الموارنة عند اخذهم الاسرار من مرسلي ذلك الكرسي . ولذلك ، فلا بد له من ان يستردّ القرار المذكور ، وان يبلغ المجمع المقدس السبب الذي من اجله منع الموارنة عن اخذ الاسرار من ايدي المرسلين وان يرى فيما يفرضه واجب التعويض على الكهنة الذين قد يكونون تأذوا من تلك الحوادث . »

اخذنا هذا النص عن حضرة الاب بطرس ديب في بحثه على مجامع الكنيسة المارونية (١٥٥٧–١٦٤٤) . نشره ولم يخشَ لوم اللائم وقال : هل بلغت رسالة مجمع انتشار الايمان الى البطريرك ؟ ومهما كان من الامر فقد كتب البطريرك يوسف الى الكردينال بربريني ، محامي الموارنة ، ورفع اليه مجدّدا حججه على المرسلين . وتحريره مؤرخ في السنة ١٦٤٥ (١٤ نيسان) تلك التي اوفد فيها القس عبد المسيح ورفيقه لطلب التثبيت . فكانت تلك الاخبار ، ولا شك ، مبعثاً لاثارة الخواطر في الدوائر الرومانية ، ولا عجب ان تكون ابطأت في تلبية طلب التثبيت الى ١٠ ايلول ١٦٤٦ . في ذلك العهد كان مخائيل مطران طرابلس قد تمكن من الوصول الى رومة بعد مغادرته لبنان في اواخر تموز . ولا نخاله الا مستحثاً الدائرة الرومانية في عملها ضامّاً سعيه الى سعي القس عبدالمسيح ورفيقه وغيرهم من الموارنة المقيمين في المدينة الابدية حتى نالوا التثبيت .

واذا اصبنا في حدسنا هذا ، ولا نرى فيه ما يخالف المعقول ، فيكون غرض الرسالة التي وجهها البطريرك يوسف بن حليب الطاقوري الى الشيخ طربيه حبيش ان ينال التوصية للحصول على التثبيت البابوي ، وللمساعدة على جمع الحسنات من بلاد الافرنج .

ونحن في غنى عن تبيان ما في وثيقة البطريرك من التنويه بوجاهة الذين أرسلت اليهم .

التذكار المئوي

لتجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية

١٨٣١-١٩٣١

بقلم الشيخ سليم الدحداح

كما يستعين المسافر بالمحطات لمعرفة ما اجتاز من الطريق وما بقي عليه لبلوغ نهاية السفر ، كذلك نستعين بالسنوات والاجيال فانها محطات للانسان في سفره في هذه الحياة الزائلة . فبدء كل سنة هو عيد العائلة ، وعيد الامة التي هي مجموع العائلات . وقد اعتاد البشر ان يخصوا باحتفالات اعظم واجل السنة السابعة ، كما ذكر الكتاب المقدس ، فدعاها سنة يوبيل ؛ ثم وجدوا ان هذه المهلة قصيرة ايضاً في تواريخ العالم ، فاتخذوا تواريخ اطول مدة ودعوا السنة الخامسة والعشرين يوبيلاً فضياً ، والسنة الخمسين يوبيلاً ذهبيا ، والسنة الخامسة والسبعين يوبيلاً الماسياً . ولكنهم جعلوا اكثر الافراح والاحتفالات مختصة بالاعياد القرنية .

وقد اعتادت الامم ان تحتفل بنوع خاص احتفالاً باهراً بالتذكارات المتعلقة بحياتها السياسية والاستقلالية . وها ان دولة اليونان قد عيّدت من سنتين عيد المائة سنة لاستقلالها ، كما كانت دول اميركة الجنوبية تنابعت من سنوات قليلة بمثل هذه الاعياد . وكذلك قامت دولة فرنسة ، مرشدتنا المحبوبة ، فاحتفلت في السنة المنصرمة بمرور مائة سنة على فتحها مدينة الجه واحتلالها بلاد الجزائر .

اما نحن في سورية ولبنان ، فان كان استقلالنا حديثاً وليس لنا اعياد سياسية نحتفل بها لا قرنية ولا يوبيلية ، فاننا في هذه السنة نحتفل بمرور مائة سنة على رجوع الآباء اليسوعيين بين ظهرانينا . وقد صادف هذا الرجوع زمن الفتح المصري لبلادنا : وكل من له المام بالتاريخ يعلم ان ابراهيم باشا المصري

(جدّ الملك فؤاد الاول الحالي) ، ذاك القائد الشهير ، قد دخل بلاد سورية في اوائل سنة ١٨٣١ . فترك قسماً من جيشه محاصراً لمدينة عكّا ، واجتاح بالقسم الآخر منه سائر بلاد سورية ولبنان ، متحالفاً مع اميرنا الشهابي الكبير . حتى اذا فتح عكّا انضمت جميع قواته ، وسار فاتحاً كيليكية والاناضول . وبعد ان اوقفته الدول ، وتُركت له كيليكية وسورية فحكمهما تسع سنوات ، عادت الدولة العثمانية بمساعدة بعض دول اوروبة وحاربته ، واضطرته الى مغادرة بلادنا ؛ فعادت الى الدولة العثمانية في ١٨٤٠ . وهكذا اضمحلّ الفتح المصري الجريء ، ولم يبق منه سوى ما يذكره البعض من آثار عدالة الفاتحين وحبهم لايجاد المساواة بين جميع الرعايا ، الامر الذي لم يكن يعرفه الحكام العثمانيون حينئذٍ . وهكذا تمّ المثل « ما أُخذ بالسيف بالسيف يؤخذ » .

ولكن سنة ١٨٣١ شاهدت حادثاً آخر في سورية ولبنان كان له تأثير فتح جليل ، ولكن فتح ديني ادبي لا يزال كائناً حتى هذه السنة ؛ وان شاء الله فانه لن يزول . هذا الفتح السلمي الانجيلي هو ما نعيّد له اليوم عيده القرني .

كلٌّ يعلم ان الرهبنة اليسوعية — وجل الغاية من تأسيسها في النصف الاول من القرن السادس عشر هو مقاومة مؤسسي الاصلاح المزعوم ونشر الايمان الكاثوليكي في كل الاماكن التي ترسل اليها بامر قداسة البابا — كانت قد ارسلت بعض ابنائها الى سورية ولبنان منذ سنة ١٦٢٦ . وبعد ان اقاموا فيها مدة ١٥٠ سنة متفانين غيرةً ، وقائمين بكل اعمال الرسالة في اديارهم في طرابلس ، وحلب ، ودمشق ، وصيدا ، وعنطورة كسروان ، غادروها سنة ١٧٧٤ وفقاً لاوامر البابا . فخلفهم فيها غيرهم من الآباء الفرنسيين من رهبنات وجمعيات غير رهبنتهم .

لكنّ المؤمنين في سورية ولبنان ما زالوا يأسفون على فراقهم ، حتى لمّا بلغهم ان الحبر الاعظم اعاد تشكيل تلك الرهبنة الجليلة كما كانت في ما مضى ، بادر وكلاء بطاركتهم في رومية لتقديم العرائض الى الحبر الروماني ملتمسين منه رجوع هذه الرهبنة لبلادهم . واول تلك العرائض مؤرخة في ٢٥ تموز ١٨١٦ وموقعة بتواقيع عديدة منها توقيع المطران جرمانوس حوا مطران حلب الماروني ،

والمطران مكسيموس مظلوم للروم الكاثوليك (وسيأتي ذكره) والاب يوسف السمعاني وكيل الرهبنات المارونية.

واخيراً توفق المثلث الرحمات المطران مكسيموس مظلوم ، السابق الذكر ، واقنع الرئيس العام للرهبنة اليسوعية ان يتولى ابناؤه ادارة مدرسة كان بنيـة طائفة الروم الكاثوليك انشاؤها في عين تراز لتثقيف اكليروسهـا . فأبحر من ليفورنو في ايطالية على مركب يدعى « ارادة الله » (*La Volonté de Dieu*) ومعه الاب مبارك بلانشه الافرنسي، والاب بولس ريكادونا الايطالي ، والاخ هنز الالماني من مدينة هانوفر ، وقد كان طبيباً. وذلك يوم الاحد الواقع في ٩ تشرين الاول ١٨٣١ قاصدين مدينة بيروت وعند وصول المركب الى جونية ، نزل المطران الى البرّ وتوجه الى الزوق عند بطريرك طائفته ، وهو وقتئذ المثلث الرحمات اغناطيوس قطّان ؛ وتابع الرهبان الثلاثة سفرهم مع المركب الى بيروت فنزلوا الى البرّ يوم الاحد ١٣ تشرين الثاني ١٨٣١ ، وهو يوم عيد استانسلاس كوستكا احد قديسي رهبانيتهم الاعاظم وشفيع الشبيبة والمبتدئين.

فتفاءلوا خيراً بهذه المصادفة الحسنة ، وحلوا ضيوفاً في بيت احد وجهـاء الروم الكاثوليك المسمّى ايوب نصرالله حيث استمروا خمسة عشر يوماً . ولم يلبث ان لحقهم المطران مكسيموس الى محـل ضيافتهم ، ثم توجهوا معه الى عين تراز ، فوصلوها في اوائل كانون الاول سنة ١٨٣١ .

وفي شهر حزيران ١٨٣٢ توجه الرهبان الثلاثة الى دمشق فزاروا قبور ابناء رهبنتهم في ديرهم القديم الـذي كان بيد الآباء العـازاريين ، وشاركوهم في احتفالات عيد القديس منصور دي پول . ثم عادوا الى عين تراز . وفي مطلع سنة ١٨٣٣ توفي البطريرك اغناطيوس قطّان ، فانتخب اساقفة الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم السالف الذكر بطريركاً عوضاً عنه . فتوجـه في ١١ نيسان ١٨٣٣ الى بيت الدين للقيام بزيارة حاكم البلاد ، الامير بشير الشهابي الكبير ، وقد رافقه في هذه الزيارة الرئيس الاب مبارك بلانشه.

ولما تحقق الرهبان اليسوعيون عـدم امكان انشاء المـدرسة الاكليريكية لتثقيف الاكليروس الملكي ، اخـذوا يسعون في اختيار بلدة ينشئون فيهـا

مركزاً لهم ، فتوجهوا اولاً الى دير مار جرجس في ساحل علما ، حيث كان يقيم البطريرك يوسف حبيش الماروني ، فاحتفى بهم وعرض عليهم مدرسة عين طورا التي كان وقفها احد رهبان الموارنة ، بطرس مبارك الشهير ، وكانت عادت للطائفة المارونية بعد سنة ١٧٧٤ . فشكره الآباء ، لكنهم رفضوا قبولها لزيادة قربها لدير العازاريين ، سيما وقد كان هؤلاء انشأوا فيها مدرستهم الشهيرة التي لا تزال موجودة حتى الآن.

وفي هذه الاثناء ارسل الامير حيدر اسمعيل اللمعي ، حاكم القاطع ، يطلب الآباء لزيارته في جوار الحوز . فتوجه اليه الاب بولس ريكادوتا (وكان تعين رئيساً بدلاً من الاب بلانشه) في ١٦ حزيران ١٨٣٣، فاشار اليه ان ينتقي محلاً في املاكه ليبني فيه ديراً . وبعد ان طاف الاب جهات القاطع اختار قرية بكفيا ، فوهبه الامير محلاً شيد فيه ديراً هو الآن دير اليسوعية في بكفيا . وما صنعه الامير حيدر مع الاب ريكادوتا صنع مثله الامير بشير الشهابي الكبير مع الاب بلانشه ، فانه اوعز اليه ان يختار محلاً في املاكه في البقاع لتشييد دير فيه . وبعد التفتيش وقع اختيار الاب بلانشه على قرية المعلقة ، فوهبه الامير ارضاً تشيد فيه دير . وقد كان انشاء هذين الديرين : دير بكفيا ، ودير المعلقة ، تقريباً في تاريخ واحد، وهما اقدم ادبار الرسالة المتجددة.

في ١٥ آب ١٨٣٤ وصل بيروت الاب ريمون استاف الفرنسوي التبعة ، وقد عُرف في لبنان باسم « ابونا سليمان ». ثم اتى بعده الاب مكسمليان ريلو ، الذي استلم الرئاسة في شهر آب سنة ١٨٣٩ وانشأ دير بيروت القديم ، وقد وصفه في كتابه للرئيس العام بانه « كائن خارج باب المدينة الاكبر وقريب من قصر الحاكم » . ثم تعين رئيساً لمدرسة نشر الايمان المقدس في رومية ، فخلفه في رئاسة الرسالة في بلادنا الاب بلانشه ، السالف الذكر ، فانشأ في دير بيروت مدرسة خارجية منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤١ .

وفي سنة ١٨٤٣ أُلحقت الرهبانية اليسوعية رسالتها في سورية ولبنان باقليم ليون كما هي باقية حتى الآن ، وذلك في عهد الرئيس الاقليمي لويس مايلار .

واما الدير الرابع لهذه الرسالة المتجددة فدير غزير ، وهو دار الامير حسن

الاب مبارك پلانشه

١٨٠٣ – ١٨٥٩

الاب بولس ريكادونا

١٧٩٩ – ١٨٦٣

شهاب ، شقيق الامير بشير الشهابي الكبير ، اشتراه الاب بلانشه ، رئيس الرسالة ، في شهر آب سنة ١٨٤٣ من الامير عبدالله حسن شهاب بمبلغ اربعين الف فرنك . وترأس عليه الاب اوبرمالسكي البولوني . وقد جعل فيه مدرسة اكليريكية فتحت ابوابها لاول مرة في ١٩ اذار سنة ١٨٤٥ . وبعد ان اضطرّ الآباء لقفلها مرّتين لاسباب سياسية في لبنان وفي فرنسة ، فُتحت نهائيًا في تشرين الثاني ١٨٥١ ، واصبحت في سنة ١٨٥٥ مدرسة عمومية فبلغ عدد طلبتها ، في سنة ١٨٥٩ ، ٢٠٠ تلميذ منهم ٨٠ اكليريكيًا.

وهذه المدرسة التربوية بلغت شهرةً واسعة . الا ان الاب موتو رئيس الرسالة وجد ان مركز غزير بعيد عن بيروت التي كانت قد اصبحت اسكلة لبنان وسورية ومركزًا تجاريًا وسياسياً وادبياً لهذه البلاد ، فاختار محلًا بعيدًا عن مركز ديرهم القديم وانشأ ديرًا جديدًا اكبر واوسع من الاول . وبعد ان طاف اميركة واوروبة مستحثًا كرم المحسنين ، عاد الى بيروت واتمّ البناء . وفي تشرين الثاني ١٨٧٤ فتح ابوابه للطلبة ، ونقل اليه مدرسة غزير الداخلية والاكليريكية ، ومدرسة دير بيروت القديم الخارجية . ثم تخلى عن الدير القديم . وبقي دير غزير مركزًا للآباء ابقوا فيه مدرسة خارجية ابتدائية لابناء القرية ، وجعلوه مصيفاً لرهبان مدرسة بيروت وتلامذتها القرباء ، واقاموا فيه مدة مركزًا للابتداء لطالبي الدخول في رهبانيتهم.

اما مدرسة بيروت الجديدة التي خلفت المدرستين المار ذكرهما فهي الآن الكلية الشهيرة التي جمعت فروع اكبر جامعات العلوم في الدنيا . فمنها اللاهوت ، والفلسفة ، والطب (١٨٨٣) ، والحقوق (١٩١٣) ، والهندسة (١٩١٣) ، وطب الاسنان ، والصيدلة ، والعلوم الثانوية ، والابتدائية . وقد امتدت بنايتها الشاسعة في محلات متعددة يتبعها المستشفى العظيم المشيّد بعد الحرب الكبرى قرب حرج بيروت . وقد احتفلت بعيدها الفضي في سنة ١٩٠٠ ، وبيوبيلها الذهبي احتفالًا باهرًا في سنة ١٩٢٥ . ويتبعها المطبعة الكاثوليكية المشيدة اولًا قرب الدير القديم في بيروت في سنة ١٨٥٣ ، والمنقولة بعد ذلك الى محلها الحالي . وقد أدّت اعظم الخدمات واجلّها للغة العربية ولسائر اللغات الشرقية بطبعها

الكتب الفريدة والعديدة ولا نبالغ اذا قلنا انها من اعظم واتقن مطابع العالم. والمكتبة الشرقية التي اسسها استاذنا السعيد الذكر الطائر الشهرة الاب لويس شيخو.

ولست هنا قادرًا على تتبع اعمال هذه الرهبانية الجليلة في مدة قرن كامل في بلادنا اللبنانية والسورية . فان ذلك يقتضي ليس اكثر من مثل هذه المقالة فحسب بل يلزمه المجلدات الكبيرة . وانني اكتفي بذكر ما انشأوه بعد ذلك من الاديرة ، فقد بنوا ديرًا في زحلة (سنة ١٨٤٦) — وديرًا في دمشق الشام (١٨٧٢) — وديرًا في حلب (١٨٧٣) — وديرًا في حمص (١٨٨٢) — وديرًا في حوران — وميتمًا في تضايل البقاع . ومرصدًا فلكيًا في كسارة سنة ١٩٠٧ — وديرًا في صيدا — وديرًا في دير القمر — وديرًا في عين ابل من جبل عامل — وديرًا قرب قرية منجز (عكار).

انما بعض الظروف وقلة عدد الرهبان اجبرتهم على ترك بعض هذه المراكز ، فغادروا حوران ، ودير القمر ، وصيدا ، والمعلقة ، وعكار.

ولا اغالي اذا قلت ان رسالتهم هذه اخرجت في هذا القرن الذي انقضى منذ رجوعهم الى هذه البلاد لا اقل من خمسين الف طالب على اقل تعديل ، فضلًا عن حملة الشهادات العليا في اللاهوت والفلسفة والطب والحقوق والهندسة الذين خرجوا من كلية بيروت التي دعاها بكل حق فقيد العلم والدين والوطنية موريس باريس « بمنارة البحر المتوسط » . هذا فضلًا عن الايتام وصغار الفقراء الذين تعلموا الصنائع والعلوم الابتدائية في مدارسهم القروية .

ولا ننسى ان نضيف الى هذا العدد الضخم مجموع التلاميذ الذين تخرجوا في مدرسة مار لويس غزير المعروفة بمدرسة المزار ، ومدرسة مار يوسف في قرنة شهوان الداخليتين ، وقد ازهرتا حينًا من الدهر وكان مؤسساها المرحوم الخوري لويس زوين والمطران يوسف الزغبي من نوابغ تلاميذ اليسوعيين في غزير . وقد ادارهما تلاميذهم ايضًا . وكذلك المدرسة الوطنية الحالية في بعبدات ، فان مؤسسها ومديرها الفاضل من تلاميذ الكلية الكاثوليكية في بيروت . وغير هذه المؤسسات العلمية حتى الكلية الاسلامية العامرة ، فانها قد لبثت مدة

طويلة بادارة احد تلاميذ الكلية اليسوعية . واذا اضفتَ ايضاً عدد التلميذات من كل الطوائف اللواتي يتلقين العلوم في مدارس راهبات قلبي يسوع ومريم — وهؤلاء الراهبات ينتمين الى جمعيتين تأسستا من قبل الاباء اليسوعيين ثم توحدتا في رهبنة واحدة — فانك بلا شك تصل الى مجموع يفوق على الاقل عشرة اضعاف العدد الذي ذكرناه . فضلًا عن انّ كثيرًا من المدارس الوطنية كانت ولا تزال بادارة آباء واساتذة افاضل يفتخرون بانهم تلقوا العلوم وفنّ الادارة على اليسوعيين . فمن هنا تتأكد ان لهم اليد الاولى في تعميم العلم في كافة لبنان وسورية .

وتظهر قيمة فضلهم متى عرفت انهم لا يكتفون بنشر العلم فقط بل انهم يجمعون في مدارسهم التهذيب مع العلم ويلقنون المبادئ الصحيحة مبادئ التربية الحقيقية ، فانهم يحققون في عملهم معنى اللفظة اللاتينية *Education* اي الانهاض . فان هذه اللفظة تعني ، عند اللاتين ، التربية والتعليم بوقت واحد . وكذلك اينما وجدوا فانهم يلقنون تلاميذهم مع التهذيب والتعليم حب وطنهم ودينهم ، والتجرّد للدفاع عنهما . وقد كذبت شواهد الحرب الكونية العظمى ما قاله الملحد رينان : « لن يتمكن تلميذ اليسوعيين من الانتصار على بروسي » فان قاهري الالمان والبروسيين هم فوش وكستلنو وفايول وليوتي وجميعهم من تلاميذ اليسوعيين واقارب رهبان يسوعيين ؛ ولنا الشواهد عندنا في رجالنا فان تلاميذ اليسوعيين ما زالوا في مقدمة محبي لبنان والمتفانين في خدمته والمحافظة عليه ، وقد ابلوا البلاء الحسن في خدمة اللغة العربية ونشرها في جميع اقطار الارض .

واذا علمت ان كثيرين ممن لم يكونوا من تلاميذهم قد كانوا اعضاء في جمعياتهم الروحية او الادبية كالاخويات واندية الشبان الادبية وغيرها ، تحققت انهم من اركان الترقي في بلادنا وان اكثر المتنورين بيننا مدينون لهم بما وصلوا اليه .

ومن منا يمكنه ان ينسى اسم الاب فيوروفيش مؤسس جمعيات الصملة وذوي الحرف والصنائع اليدوية والاب سكوني سيروفيم المرسل الرسولي الذي طاف

انحاء بلادنا مشياً على الاقدام ، فبشر ووعظ وعلّم متفانياً حتى مات اخيراً على الطريق . والاب ميشال مدير المدارس الابتدائية الخارجية في بيروت وجوارها . والاب انجليل مديرها في جبال كسروان وجبيل والبقاع ، والاب لويس بدور الذي كان واقفاً للبروتستان بالمرصاد فيبادر الى مزاحمتهم بالمدارس ، حتى استحق تلك الجملة التي تروى عن لسان احد المبشرين الاميركان الذي كان متوجهاً الى صيدا ، فاجاب سائله عمّا هو فاعله هناك : « انني ذاهب لانشئ مدرستين : الاولى لنا ، والثانية لليسوعيين . لان الاب بدور سيلحقني ولاشك لهناك » . والاب بطرس ماليه ناشر جمعية رسالة الصلاة في بلادنا .

ويجب ان لا نذهل عن ذكر اسم الاب مونو ، مؤسس كلية بيروت ، والاب باليو مهندسها ، واسماء رؤساء الرسالة الآباء نورمان ، وليفيثر الخطيب الشهير ، وبرناردي ولم يكن يقل عنه فصاحة واقداماً ، والفيور الفاضل اب الشبيبة ومرشدها المحبوب لوسيان كاتن ، وقد اشتركت بيروت جمعاء بالاحتفال بدفنه والاسف عليه . ورؤساء الكلية اذكر منهم هنري ، وتردي ، وجبرايل اده ، وغراسيان . وقد رقد اكثرهم بالرب لينالوا الاكليل المعدّ للذين اتموا الجهاد الحسن . وقد اسعدني الحظ بان عرفت اكثرهم . وكذلك اسماء الخطباء الواعظين مونين ، وراي ، وكورديه ، والاساتذة الافاضل دلمي الذي علّم الفصاحة اكثر من ثلاثين سنة ، وبرونّ الذي مات في شرخ الشباب ، وغوتيه ، ولويزه ، وكوش مؤسس دير حمص ، وغيرهم وجميعهم قد توفوا كذلك تاركين الذكر الحسن لدى تلاميذهم . وان نسيت فلا انسى ذكر الاب لوزيير والاب هنري دي فونكلايه ، وهو مركيز ينتمي لاسرة من اكبر اسر فرنسة ، كان سابقاً قائداً في الجيش البابوي ، وسكرتيراً للكونت دي شامبور المطالب وقتئذٍ بعرش فرنسة ؛ فقصد زوجته واولاده فترهب ثم جاء دير بيروت حيث سيم كاهناً وقضى مدة اكثر من ١٢ سنة ، وهو مثال الطاعة والتجرّد ، وكان رغم شيخوخته يعطي الدروس ويعيش كاحقر الرهبان حتى مات ميتة القديسين .

ولا يقضي ان اذكر جميع من اشتهر من الآباء اليسوعيين في هذه الرسالة فاترك ذلك في ذمّة من يتولى كتابة تاريخ هذه الرهبنة الجليلة . وانما قصد

اكتفيت بذكر بعضهم ممن عرفتهم ، ولم اشأ ان اجرح فضيلة تواضع الاحياء منهم فلم اذكر احداً ممن لم يزل في قيد الحياة ، والا لما كنت اتأخر عن ذكر حضرة الاب شانتور رئيس الرسالة الحالي ، والاب دي مارتيراي معاونه في ادارة مدرسة الطب وقد كان سلفه فيها وادّى الخدم العظيمة لهذه البلاد ابان الحرب الكبرى وفي بدء عهد الاحتلال ، والاب دي بونفيل رئيس الكلية السابق ورئيس اقليم ليون الحالي الذي تولى رئاسة الاحتفالات بهذا العيد في باريس والذي سيتولى رئاسة الاحتفالات عندنا في بيروت في منتصف هذا الشهر تشرين الثاني، وغيرهم من الآباء الافاضل العاملين كالاب موترد رئيس مدرسة الحقوق ومدير نشرة الكلية العلمية المعروفة بـ *Mélanges de l'Université St. Joseph*) ، والاب لامنس مدير هذه المجلة وصاحب التآليف النفيسة في تاريخ بلادنا ، والاب معاوف مدير جريدة البشير منذ ٢٥ سنة ، خادماً المبادئ الصحيحة والآداب العالية .

ولم يكن عمل هؤلاء الآباء مقتصراً على التعليم والتأليف فقط بل انهم قصدوا دائماً مرافقة تلاميذهم في كل سنوات حياتهم ، وكذلك قصدوا تدريب ومعاونة من لم يمكنهم ان يدرسوا عندهم . ولهذا فقد انشأوا الاخويات للنساء وللبنات وللرجال وللشبان وانشأوا الجمعيات الخيرية والادبية في جميع اديارهم وفي القرى التي يزورونها .

وهم الذين انشأوا في بيروت في ٧ ايار ١٨٦٠ جمعية مار منصور دي پول ، وهي اكبر الجمعيات الخيرية عندنا ، وقد بلغت فروعها في بيروت وحدها ثمانية . واقدم اخوية للرجال عندنا هي اخوية الحبل بلا دنس المنشأة في ديرهم القديم سنة ١٨٤٩ .

وانك بالحقيقة ترى جميع الطوائف الكاثوليكية الشرقية في سورية ولبنان مدينةً لهم بعدد كبير من كهنتها واساقفتها ورهبانها وهكذا تجد ان عدم نجاح غايتهم الاولى ، اي عدم تمكنهم من تشييد مدرسة اكليريكية لطائفة الروم الكاثوليك ، كان لخير البلاد وسائر الطوائف . وهكذا بقي ابناء اغناطيوس الجنود الاخصاء لرأس الكنيسة المنظور ، وفقاً لارادة ونية مؤسسهم العظيم ،

فقد اراد تأليف كتيبة من جنود امناء يرسلهم الحبر الاعظم حيث يشاء لمجد الله ولخدمة الكنيسة ، وقد قيل عنهم : « الرهبنة اليسوعية سيف قبضته في رومية وحدّه في سائر انحاء المعمور ». وهكذا اثبت اليسوعيون انهم اينما حلّوا ظلوا سائرين على المبادئ التي وضعها لهم مؤسسهم ، متصفين بالصفات التي عرفوا دائماً بها اي الغيرة الرسولية ، ونشر العلم ، وحب القريب ، والتجرد التام عن الدنيويات ، والطاعة الكاملة لاوامر الحبر الاعظم ، الصفات التي جعلت رهبانيتهم من الجمعيات التي لم تحتج الى اصلاح والتي حملت رئيسهم العام لوران ريتشي على القول عنهم : « فليظلّوا كما هم والّا فلا لا » (*Sint ut sunt aut non sint*) ، وهكذا تمت بحق هذه الرهبانية المقدسة مواعيد السيد المسيح لكنيسته : « وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . فان العروش التي كانت قائمة يوم سقط اغناطيوس دي لويولا في ميدان الوغى جريحاً في خدمة اسبانية ضد فرنسة ، قد بادت ، وتلك الممالك قد تغيّرت وتحولت . واما الكنيسة فهي لا تزال كما كانت ، بل امتدت وانتشرت تعاليمها في اقطار لم تكن وصلت اليها وقتئذٍ ، وذلك بفضل جميع ابنائها ورهبانها وبالاخص بمساعي وغيرة وتجرد جنود اغناطيوس وابنائه الروحيين المدعوّين « بكتيبة يسوع ».

فيحق لنا ان نفتخر بوجود الرهبانية اليسوعية بيننا ، ونشكر جميع ما صنعه ابناؤها في بلادنا ، ونهنئها بعيد تجديد رسالتها في لبنان وسورية المئوي ، ونطلب اليه تعالى ان يداوم الاخذ بيدها وتوفيقها لما به مجده الاعظم ، وخير الكنيسة ، وانتصار رأيها المنظور ، ومنفعة ابناء البشر عموماً .

الشاري الكهربائي

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

الصواعق في بعض البلدان ، باختلاف السنين ، فتأتي بالاضرار الجسيمة مادية وجسدية . ولكم قرأنا في الصحف والمجلات عن بيت هدمته ، وحصيد احرقته ، ومار في الطريق كهربته ، فسرنا غير مبالين . ولو جمعنا تلك الحوادث بعضها الى بعض لراعنا هول المصاب . فمن احصاءات الولايات المتحدة ان الصاعقة خرّبت ، في سنة واحدة ، من المساكن والابنية العمومية كالمدارس والكنائس وغيرها ما توازي قيمته ٢٢ مليوناً من الدولارات . اما الاشخاص الذين قتلتهم في تلك السنة فخمسة .

وفتكت في فرنسة سنة ١٩٢٩ بمقاطعة الكورز فاهلكت ثمانية اشخاص في يوم واحد ، يوم ٧ اغسطس المشهور فتألفت لجنة من العلماء لدرس اسبابها .

ماهية الصواعق

تخرج الصواعق من الغيوم السوداء ، المستديرة الشكل ، المعروفة بالكيميلوس نمبوس « *Cumulus numbus* » وهذه الغيوم تتكوّن من تبخير المياه السريع ، فتصعد في الجو بسرعة هائلة حتى تعلو احياناً عشرة آلاف متر فوق الارض . ومن تلك الغيوم البَرَد والشؤبوب اي الشتاء النزير يأتي هنيهة ثم يهدأ . ومن طبيعة الكيميلوس نمبوس انه يحوي على كمية عظيمة من الكهرباء بتوتر مريب يبلغ مئات من الملايين من الڤولت ، في حال ان معظم التوتر الذي بلغ اليه الانسان في المختبرات الحديثة لا يزيد على الخمسة ملايين ڤولت . فاذا قرب ذلك الغيم من غيوم خفيفة التوتر ، نشبت من شرارة ، بقوة الضغط ، فكان البرق . وان قرب من مكان عالٍ من الارض كانت الصاعقة . . ويستدل على قوة التوتر بطول الشهاب الناري البالغ في البرق احياناً ١٥ الى ٢٠ كيلومتراً .

وقد اثبت العالم فرنكلان ، في القرن الثامن عشر ، تلك النظرية عملياً بان دقّ في الالعوبة المعروفة « بالطيارة » مسماراً معدنياً وتركها تعلو ماسكاً

اياها بخيطٍ مبلل بالماء. فلمّا قربت من الفيوم خرجت من طرف الخيط الماسك به بعض شرارات جذب كهربائيتها المسمار . ولا نشير على احد باعادة تلك التجربة ، نظرًا لما فيها من خطر التكهرب.

سقوط الصواعق

تنقضّ الصواعق غالباً على اقرب مكان منها كقمم الجبال ، والاعمدة العالية ، والمنازل الشاهقة ، والاشجار الباسقة . ولا يندر ان تسقط فوق الينابيع ، والاودية ، والمعابر ، وسفوح الجبال ، منقادة بطبيعة الارض الجيولوجية « كالفرانيت » ، والمدَر ، « والاردواز » . .

وللحربة الطويلة ، وتُعرف « بالشاري » ، جاذبية خصوصية للصواعق تحليلها ان كهربائية الفيوم تولد ، بالتاثير ، في الاجسام كمية من الكهربائية السلبية . فاذا ولدت هذه في حربة الشاري المسنونة ، تطايرت منها ، فزادت في ايصالية الهواء المجاور ، فجذبت الصاعقة او حلّتها .

الصواعق والاسلاك الكهربائية

وقد ذهب البعض الى ان الاسلاك الكهربائية ، خصوصاً ذات التوتر العالي ، تُكثر الصواعق . وهذا وهمٌ لا صحة له ، كما اثبته البحث الذي قام به مؤخرًا بعض علماء الفرنسيس . فقد وجد ان معدّل الصواعق في السنة هبط من عدد ٣٠ سنة ١٩١٩ الى عدد ٢١ سنة ١٩٢٨ ، رغماً من انتشار الاسلاك الكهربائية . .

واذا صحّ القول في ان الاسلاك الكهربائية لا تؤثر في تكوين الفيوم ، وسقوط الصواعق ، فلا ريبَ في انها زادت في خطر هذه . وذلك أنّ الصاعقة ، اذا انقضّت على الاسلاك الكهربائية ، سارت فيها ، وتسرّبت بواسطتها الى المنازل والمعامل فكهربت اصحابها .

الشاري

يُتقى خطرُ الصاعقة بواسطة الشاري ، كما هو معروف . وهو على انواع من شاري فرنكلان التاريخي الى شاري ميسيان الحديث ، انما مبدأه واحد الا

وهو جذب الصاعقة ، بواسطة الحربة ، وتبديدها في الارض . وربما زاد الشاري في خطر الصاعقة اذا لم يُحكم تركيبه ، فتتسرب كهربائيتها في جدران المنزل ، فتشقها . لذلك وجب الانتباه الى بعض القواعد الفنية المبينة فيما يلي .

شاري فرنكلين

١ – حربة الشاري العادية

هو اقدم الاجهزة المستعملة لاتقاء الصواعق . اساسه حربة من النحاس ، مقسىً رأسها بالبلاتين ، تحكم فوق عمود من الحديد كما في الرسم ١ . فيركز في اعلى مكان من المنزل ، ويوصل بحبل ثخين من الفولاذ ، والافضل من النحاس ، ينزل في الارض الرطبة . وربما كان الشاري مزدوجاً كما جاء في الرسم ٢ اي ذا حربتين . وبقدر ما يُعلى الشاري يقي من الارض المجاورة ، وقد يبلغ قطرها اربعة اضعاف علو الشاري . فلو افترضنا شارياً يعلو عن الارض ١٥ متراً فانه يحفظ من الصاعقة دائرة من الارض قطرها ستون متراً . وهذا الحساب تقريبي افسدته شواذات كثيرة منها ان الصاعقة وقعت مرةً فوق شجرة على مسافة ثمانية امتار من شار علوه ٣٥ متراً .

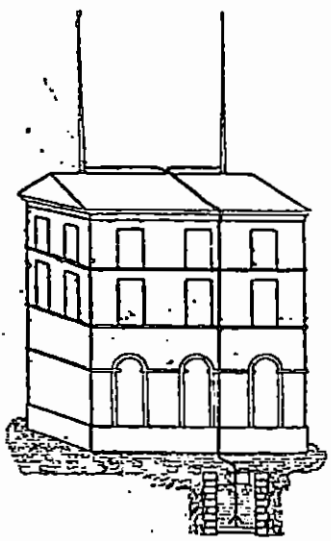

٢ – شاري فرنكلان

وان كان شاري فرنكلان يجذب الصاعقة ، ويضمضها في الارض اذا حسن تركيبه ، فعمله في تحليلها خفيف لقلة ما تفرزه الحربة من الكهرباء .

ثم ان هنالك امراً وهو ان الشاري المذكور ، وان وقى المنزل من الخراب ، فلا يقي سكانه احياناً من الهزة الكهربائية ومعظمها قتّال ، والهزة هذه ناتجة عن تكهرب الانسان بالتأثير .

لذلك استعيض عن شاري فرنكلان بشاري ملسانس وهو ذو حراب ، متعددة الرؤوس ، مخمّس في الرسم ٣ ؛ يوصل بعضها ببعض ، وبالارض الرطبة ، بواسطة شريط معدني يُحيط بالبيت كالقفص

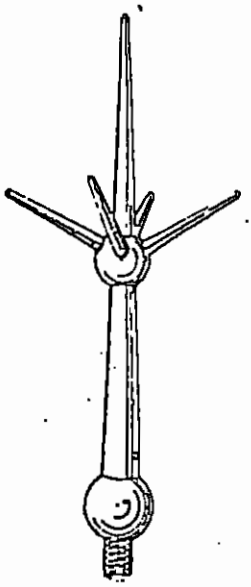

٣ – حربة ذات رؤوس متعددة

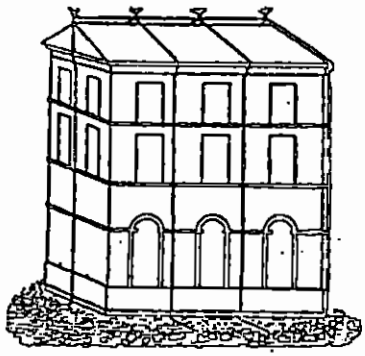

٤ – شاري ملسانس والقفص المعدني

(انظر الرسم ٤) . ويُعرف هذا القفص بقفص « فرادي » اذ قد بيّن هذا العالم ان تأثير الكهربائية الخارجية لا يتعدّى الى مَن ضمن القفص .

الشاري الكهربائي

وبحث العالم سيلار عن شار يقي مجالًا كبيرًا من الارض حوله ، دون ان يتجاوز علوه بضعة امتار . فكسا الحربةَ باملاح من نوع الراديوم ، وهو جسم معروف بافرازه اشعة كهربائية مخصوصة تزيد في ايصالية الهواء فيسهل جذب الصاعقة او تحليل كهربائيتها . وخلفه جورج ميتيان فابرز تلك الفكرة الى حيز الوجود بتحقيق الشاري المرسوم (الرسم ٥) المسمى بالكهربائي ، ومنه ما يحمي مسافة ٣٠٠ متر حوله وقد اثبت العلمُ فعل املاح الراديوم فاكتشف ان الاراضي الكثيرة الصواعق ، كبعض الينابيع والاودية ، تحوي على اجزاء مهمة منها . اما مقدارُ ما يُكسى به الشاري من تلك الاملاح فزهيد لا يوازي جزءًا من عشرة آلاف من الغرام للراديوم الصرف .

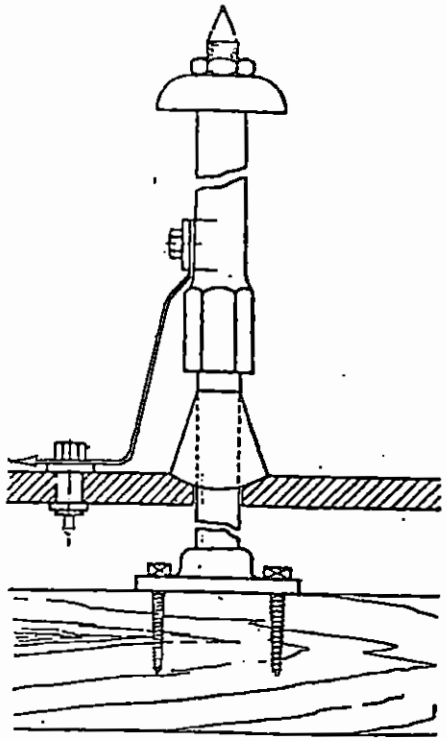

٥ – الشاري الكهربائي مثبتاً في سطح المنزل وفي اعلاه غطاء من البورسلان المكسى باملاح الراديوم

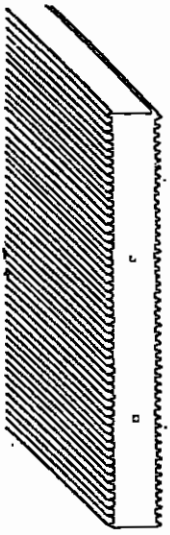

٦ – الشريط المسنن

بعض القواعد في تركيب الشاري

ومهما يكن من نوع الشاري المستعمل فهنالك قواعد يجب حفظها . اولها ان يكون الحبل المعدني ، النازل في الارض ، من النحاس الثخين ، بقطر سنتيمتر واحد على الاقل فاذا كان رفيعاً لم يكف لتصريف التيار الكهربائي الموجود في الصاعقة وهو يبلغ احياناً مئة الف امپار . ولا يحسن استعمال الحبل الحديدي او الفولاذي لان ايصاليته دون ايصالية النحاس . ويُنتبه ، عند التركيب ، الا يكون الحبل لاصقاً بجدران المنزل بل محكماً فوق بكرات او فناجين من الزجاج او البورسلان ، خوفاً من ان تتسرب الصاعقة في الجدران ، اذا وجدت فيها طريقاً سهلاً الى الارض ، فتشقه كما جرى في سراي بعبدا في لبنان بعد

الحرب . ويُفضَّل اليوم على الحبل الشريط النحاسي المسنن كما في الرسم ٦ .

واهمُّ الامور «مأخذ» الحبل او الشريط من الارض (*prise de terre*). فقد استعمل، حتى الان، صفيحة من الحديد او النحاس، مربعة الشكل او مبرومة كما في الرسم ٧، تُلحم بطرف الحبل ثم تُنزل في الارض الرطبة او في بئر من الماء. ومنهم من استخدم نوعاً من المرساة مصوّراً في الرسم ٨، وكل ذلك فاسد، لا يأتي بالفائدة المقصودة. فكم من مرة حلّت ربطة الحبل بالصفيحة، او انقطعت، فبطل عمل «المأخذ» ولم يدرِ به احد. ولا يعملُ «المأخذ» تماماً الا اذا جاء بين طبقتين من الارض: الطبقة اليابسة والطبقة المبلّلة.

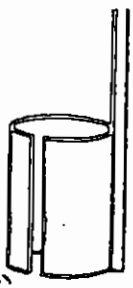

٧ – مأخذ للارض بشكل المبرومة

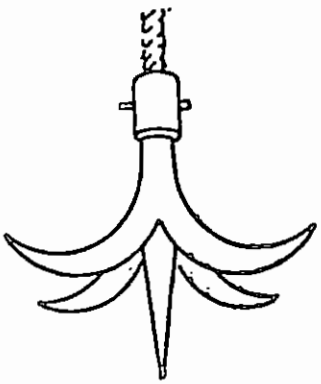

٨ – مأخذ للارض بشكل المرساة

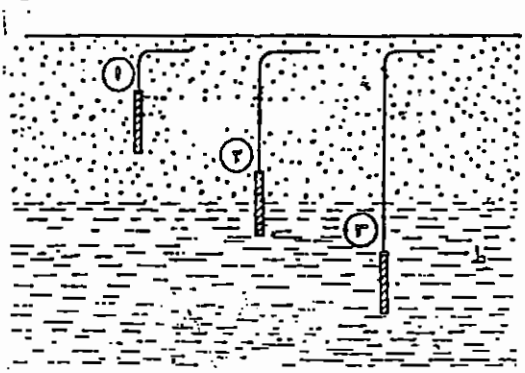

٩ – المأخذ في الارض
١ – في الارض اليابسة
٢ – بين الطبقة اليابسة والطبقة المبلّلة
٣ – في الطبقة المبلّلة

فلو أُنزل مركز ٢ من الرسم ٩ وهبط مستوى الرطوبة او علا فاصبح المأخذ في مركز ١ او في مركز ٣، لبطُل عمله او ضعُف. وقد وضح اليوم ان استعمال البئر «كمأخذ» لا يأتي احياناً بالفائدة، فضلاً عن خطر التسمم الناتج من النحاس لشاربي ماء تلك البئر. لذلك كثر استخدام المأخذ

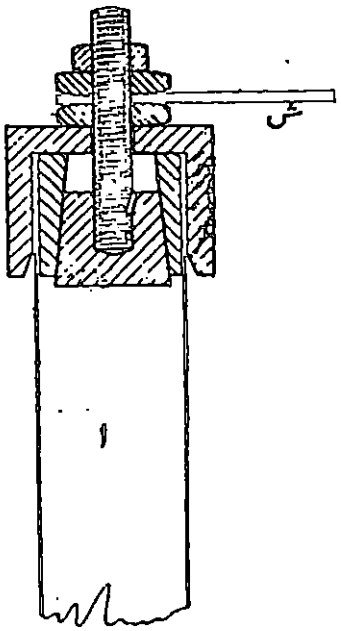

١٠ – المأخذ الحديث:
ا – الاسطوانة المجوفة
ش – الشريط الواصل

المصوّر في الرسم ١٠ وهو اسطوانة طويلة من النحاس ، مثقوبة السطوح ، تنزل في الارض نحوًا من ثلاثة امتار حيث الرطوبة الدائمة ، ويُملأ جوفها بالرمل فتطلع به الرطوبة فتزيد في صلاحيتها.

اما وصل هذا المأخذ بالشريط فبواسطة اللولب ، على شرط ان يكون ضمن علبة على سطح الارض تسهيلًا لفحصه .

تكاليف الشاري الكهربائي

وقبل الختام نرى من المفيد ان نلقي نظرةً على تكاليف الشاري الكهربائي فندوّن بعض الاسعار السائرة في فرنسة :

الحربة الكهربائية من النوع العادي مع اجرة تركيبها ٥٠٠ فرنك
« من النوع المتوسط « ٩٠٠ «
« من النوع العالي « ١٦٠٠ «
الشريط المستعمل لقفص فرادي مع اجرة تركيبه ٢٩ « المتر الواحد
« المسنن لمأخذ الارض « ٣٥ « «
« المأخذ » كما في الرسم ١٠ بطول ثلاثة امتار
مع اجرة تركيبه ٨٠٠

الرسالة الحاتمية

فيما وافق النبي في شرعه كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٧١ قال ارسطو

حلول الفناء[1] في عظيم الامور[2] كحلوله في صغيرها.

[٣٨ و] قال ابو الطيب

فطَعمُ الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

٧٢ قال ارسطو

من كان همّه الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم، لانّ البهائم[1] متى[2] خُلّي بينها وبين ما تريده[3] لا تُفضّل[4] شيئاً[5] غير ذلك.

---

٧١ هي الفقرة ٧٠ في مم، و٣٩ في ت، و٣٨ في ق، و٧٥ في ل.
١) في م وم: الموت. ٢) في م وم: الامر.
والبيت هو الثاني من قصيدة قالها اذ قُتلت حجرته ومهرها في انطاكية، مطلعها:
اذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بما دون النجومِ
(د ١: ٢٢٨ — الروائع ١٢: ٤٩)

٧٢ هي الفقرة ٧١ في مم، و٣٩ في ق، و٧٦ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ل: لأنا نعلم ان البهائم، وفي ق: لأنه
٢) في ق: لو، وفي ل: اذا ٣) في ق ول: تريد.
٤) في ق: لم تفعل، وفي ل: لم تُرد. ٥) شيئاً: لم ترد في ق.
البيت هو ٩٥ من قصيدة قالها في صباه مطلعها:
ضيفٌ ألمّ برأسي غيرَ محتشمِ السيفُ احسنُ فعلًا منه باللممِ (د ١: ٢١)

قال ابو الطيب

ارى أناسًا ، ومحصولي على غَنَم ، وذكر جودٍ ، ومحصولي على الكَلِم.

٧٣ قال ارسطو

اللطائف سماوية ، والكثائف ارضية ؛ وكل عنصر[1] عائدٌ الى عنصره [الاول][2].

[٣٩ق] قال ابو الطيب

فهذه الارواح من جوّه[3] ، وهذه الاجسام[4] من تُربه

٧٤ قال ارسطو

النظر في عواقب الاشياء يزهّد[1] في حقائقها[2] ؛ والعشق[3] عمى[4] الحس[5] عن درك[6] رؤية المعشوق[7].

قال المتنبي

لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه[8] لم يَسْبِهِ[9].

---

٧٣ هي الفقرة ٧٢ في مم ، و٧١ في ت ، و٩٢ في ق ، و٩٦ في ل.
١) في ت: زيادة: هو ٢) الاول: زيادة في ت وق.
٣) في ت: جوهر ٤) في ت: الاجساد.
والبيت هو ١٢ من قصيدة في رثاء عمة عضد الدولة ، مطلعها:
آخر ما الملك معزًى به هذا الذي أثّر في قلبه
(د ٦٠٩:٥ – الروائع ١٢ :١٩)

٧٤ هي الفقرة ٧٣ في مم ، و٧٨ في ت ، و٩٣ في ق ، و٩٧ في ل.
١) في م ومم ول: ترهد ، وفي ت: يزيد. ٢) في م ومم: فيها.
٣) في م ومم: العاشق. ٤) في ت: عما ، وفي ل: عم.
٥) في ل: الحسن. ٦) في ل: ادراك.
٧) في ت: الروية. ٨) في م: يسبه ، وفي ت: اسباه. ٩) في ت: يسبيه.
والبيت هو ١٣ من القصيدة المذكورة. (د ٦٠٩:٥ – الروائع ١٢ :١٩)

٧٥ قال ارسطو

كرهُ ما لا بدّ من[1] كونه عجزٌ في صحة العقل.

[٦٠و] قال ابو الطيب

نحن بنو الموتى[2]، فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شُربه؟

٧٦ قال ارسطو

اذا كان[1] تناشي[2] الارواح من كرور الايام، فما بالنا نعاف رجوعها الى اماكنها.

قال المتنبي

تبخل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هي[3] من كسبه

---

٧٥ هي النقرة ٧٤ في مم، و٦٩ في ت، و٩٠ في ق، و٩٤ في ل.
١) في ل: منه، وتتابع الآية: جورٌ في الطبع.
٢) في مم وت: الموت.
والبيت هو ١٠ من القصيدة المذكورة
(د ٩: ٦ – الروائع ١٢: ١٩)

٧٦ هي النقرة ٧٥ في مم، و٧٠ في ت، و٩١ في ق، و٩٥ في ل
١) كان: لم ترد في ت.
٢) تناشي: كذا في جميع الاصول الا في ق: تلاشي، وفي ت: تناسي
٣) في ت: منّ.
والبيت هو ١١ من القصيدة المذكورة
(د ٩: ٦٠ – الروائع ١٢: ١٩)

٧٧ قال ارسطو

[آخر][1] افراط[2] التوقي اول موارد الخوف[3].

[٤٤ق] قال ابو الطب

وغاية المُفرط في سلمه كفاية المُفرط في حربه[4].

٧٨ قال ارسطو

الحيوان أعراض[1] لحوادث الزمان.

قال القائل[2]

والمرء من ريب الزمان كأنه عودٌ تداوله الزعاعُ[3] ركوبُ[4]
عرضٌ[5] لكلّ منيةٍ يُرمى بها حتى يصابَ سوادُه المنصوبُ[6]

---

٧٧ هي الفقرة ٧٦ في مم، و٧٩ في ت وهي الاخيرة فيها، و٩٧ في ق وهي الاخيرة فيها، و٩٨ في ل وهي الاخيرة فيها ايضاً.

١) زيادة في ت وق ول.
٢) لم ترد في ق.
٣) في ت: الحزن.
٤) حربه: سقطت في ل.

والبيت هو ١٧ من القصيدة المذكورة
(د ٦٠٩:٥ – الروائع ٣٠٥:١٢)

٧٨ هي الفقرة ٧٧ في مم، و٣ في ق، و٣ في ل. اما ت فاوردت الحكمة وحدها في فقرتها الثالثة والحقتها ببيت لا يناسبها.

١) في ق: اغراض
٢) كذا في م وفي سائر النسخ: قال المتنبي.
٣) في ق: الرعاة.
٤) في ق: ركوبا.
٥) ق: غرض
٦) في ق: منصوبا.

والبيتان لم نرَهما في ديوان المتنبي.

[٦٢ و] ٧٩ قال ارسطو

على قدر بصيرة القلب[1] يرى الانسان الاشياء ؛ فالسالم العقل يرى الاشياء بحقائقها[2] ، والنفس اللئيمة ترى الاشياء بطبعها.

قال المتنبي

ومن يكُ ذا فَم مرٍّ[3] مريضٍ[4] يجد مرًّا به الماء الزلالا

٨٠ قال ارسطو

النظر الى ما يكره الانسان سقم[1] القلب.

[٦٣ ق] قال المتنبي

واحتمال الاذى ، ورؤية جانيـ ـهِ ، غِذاءٌ[2] تَضْوَى به الاجسامُ.

---

٧٩ هي الفقرة ٧٨ في مم ، و٢٧ في ت ، و٧٢ في ق ، و٨٨ في ل.

١) في ق : العقل. ٢) في ق ول : على حقائقها.

اما ت فاوردت فقرة غير المذكورة وهي التالية :

« الجاهل لا يحلو عنده طعم العلم بل يجد له ثقلاً ، كما يثقل على المريض الادوية النافعة ويحلو له في فمه غير طعمها. »

٣) سقطت في ل. ٤) كذا في ت وق ود ؛ وفي م ومم ول : مرير

البيت هو ٣٠ من قصيدة في مدح بدر بن عمّار مطلعها :

بقاني شاء ، ليس هم ، ارتحالا وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا.

(د : ١٤٢)

٨٠ هي الفقرة ٧٩ في مم ، و٣١ في ق ول. اما ت فلم توردها.

١) في ق ول : يسقم. ٢) في م ومم : عداء ، وفي ل : غداء.

والبيت هو ٣ من قصيدة في مدح ابي الحسين علي بن احمد المرّي مطلعها :

لا افتخارٌ الا لمن لا يُضامُ مُدركٍ او محارب لا ينامُ

(د : ١٦٢ — الروائع ١٢ : ٤٧)

٨١ قال ارسطو

عداوةُ العاقل خيرٌ من صداقة الجاهل.

قال المتنبي

ومن المداوة ما ينالك نفعُه ومن الصداقة[1] ما يضرّ ويؤلمُ

٨٢ قال ارسطو

[استنصار[1] العقلاء ضدّ لتمنّي الجهّال[2]][2] والحال[4] التي يبكي[5] منها العاقل يحسده عليها الجاهل.

[٤٤و] قال المتنبي

ماذا لقيت من الدنيا ؟ واعجبُهُ[6] اني بما[7] انا باكٍ[8] محسودُ

٨١ هي الفقرة ٨٠ في مم ، و٦٥ في ق ، و٣٩ في ل ، الا ان هذه لم تذكر الحكمة بل اكتفت بذكر البيت . اما ت فلم تذكر شيئاً .

١) في ق ول : المودّة .

والبيت من قصيدة في هجاء ابن كيغلغ مطلعها :

لهوى النفوس سريرةٌ لا تُعلمُ ، عرضاً نظرت ، وخلت أني أسلمُ .

(د : ٦٢١ – الروائع ١١ : ٢٢)

٨٢ هي الفقرة ٨١ في مم ، و٦٤ في ت ، و٥٨ في ق ، و٦٦ في ل .

١) في ل : استقصار ، وفي ت : اسطبار ٢) في ت : تمني الجهلا ، وفي ل : ضد الجاهل

٣) المقطع المتقدم زيادة في ت وق ول ٤) في ت : فالماجة ، وفي ل : فالحال .

٥) في ق . يأنف . اما ل فقد ورد فيها المقطع الاخير على هذه الصورة : « التي يبكي العاقل عليها يحسده الجاهل فيها . » وورد في ت على الصورة التالية : « التي فيها ذكر العاقل عليها يحسده الجاهل . »

٦) في ت وق ول : واعجبها ٧) في م ومم ول : لما ٨) في د : شاك

البيت هو ٩ من قصيدة في هجاء كافور مطلعها :

عيدٌ بأيّة حالٍ عدت ؟ يا عيدُ ، بما مضى ام لامرٍ فيك تجديدُ ؟

(د : ٥٤٩ – الروائع ١١ : ٣٠)

الاخ ساروفيم فكتور (١٨٧٩-١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفريز»

بقلم ا. م. ب.

٤

تآليفه

ما قيل في كتاب تاريخ الاداب

كان الاخ ساروفيم في مولان Moulins في فرنسة ، لمـّا طبع كتابه . يتناولت الصحف الكتاب بالتحبيذ والاطراء ، والتنـديد والانتقاد المشروع والغير المشروع . فمن قائل كالمقطم وغيره: انه بدعة غير مستحبة وانه نصراني محض ، اي انه وُضع لتحقير الاسلام وكشف معايبه لما يُذكر فيه من الملـل والشيع الاسلامية . كأنَّ ما كتب عن القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام عند العرب هو شيء غير تعريف اللغة في كل اطوارها . . .

ومنهم من رأوا فيه تزلفاً للمسلمين ، وتحبيذاً لمعتقداتهم ، وتعريفاً لمراجعهم الدينية المدوّنة . . . حتى انهم حملوا رؤساء رهبانية المؤلف ، بعد موته رحمه الله ، على حذف معظم ما قيل في العلوم الاسلامية ، مما أسف له كثيرون.

لكنَّ السواد الاعظم من الكتبة وارباب الصحف والادباء لم يبخلوا على المؤلف وكتابه ، بعد انتقادٍ مجرّد عن الغاية والانانية والتعصُّب ، بتقـاريظ تشرّف ناسجي بردها ، وتقرُّ بفضل الاخ ساروفيم وبزيّة انشائه ، وتحبّذ عمل من يُتمّ ما نقص من هذا السفر النفيس ، تخليداً لذكر مؤلفه رحمات الله عليه.

اما المؤلف فلم يصله شيء مما قيل في تحبيذ وذم كتابه ، لانه كان بعيداً عن بلاده المحبوبة ، بعيداً عن الملحوظات التي كان يمكن ان تقدم له فيصلح ما شوّه من محاسن تاريخه ، بكر التواريخ المـدرسية . كان يقاسي مضض

الآلام ، متناسياً ثمرة اتعابه وخلاصة مطارفه وابحاثه وهديته التي اهداها الى مطارفه واصدقائه والناشئة العربية العزيزة.

ونرى من واجبنا ان نذكر هنا قليلاً من كثير مما كُتب في « تاريخ الآداب » مختصرين كلّ الاختصار في التقاريظ الاجمالية ، مهتمين بما يبيّن صفات الكتاب وفضل المؤلف :

قال الاستاذ داود بركات في الاهرام :

« . . . حسن المنهج واضح الطريقة. لم يتبع المؤلف طريقة غيره من مؤرخي الآداب العربية ، ولم يقسم هذا التاريخ الى اطوار ، ملتزماً التاريخ السياسي ، بل افرد لكل طائفة من الشعراء والكتاب والخطباء والفلاسفة والمنشئين والعلماء والاطباء باباً ، ماضياً في الكلام عنهم في كل عصر ، منذ نشأت الآداب العربية ، في حدود التاريخ الى ان اعتراها الاضمحلال . ثم افرد باباً للكلام في النهضة الحديثة ، ولم يغفل ان يؤرخ بعض اركانها تاريخاً حسناً.

« وقد أعجبنا بطريقة ضبط الاعلام ، فهذا امر يقع فيه كثير من الخطأ واللحن ، وفي المدارس على وجه التخصيص ، واعجبنا ايضاً بتفسير الكلمات . والكتاب نافع كل النفع لتلامذة المدارس. وهو لاهل الادب والفضلاء انفع. فنثني على واضعه ، ونتمنى ان ينال ما يستحقه كتابه من الرواج والانتشار. »

وقال المرحوم الاب شيخو اليسوعي ذاكراً الطبعة الثانية ، في المشرق :

« . . . قد تعددت منذ عشرين سنة ، تواريخ الآداب العربية . . . ولكل من هذه الكتب مزايا ونقائص . ولعلّ احسن ما نُشر الى اليوم تاريخ الاداب لاحد اخوة المدارس المسيحية ، فقد وجدناه أحرى من غيره ، ان يودع في ايدي تلاميذ المدارس ، لكثرة فوائده وحسن تبويبه ، وانسجام عبارته ، وتذييله ببعض الحواشي التاريخية واللغوية ، واطلاع المؤلف على المصادر القديمة والحديثة التي ساعدته على انشائه . . . ومن خواصه اعتداله في الحكم عن الكتبة الاقدمين والمحدثين ، دون مراعاة الوجوه في انتقاده . وقد احسن اذ قصر الكلام على الموتى دون الاحياء . على اننا لا ننكر ان هذا الكتاب يحتاج الى تحسين وزيادة تدقيق في بعض التواريخ ، والتلطيف من بعض العبارات

الثنائية الزائدة ، واختصار تراجم بعض المحدثين ، لعدم انطباقها مع سواها . وغاية ما نتمنى ان يصبح هذا الكتاب كدستور امين وركن مكين لمعرفة الاداب العربية وتاريخها في المدارس العمومية ، ولاسيما الكاثوليكية . ٤

وقال الاديب صديق شيبوب في البصير الاسكندري بتاريخ ٢١ دسمبر ١٩١٥ :

« . . . لا شكّ في ان البحث في تاريخ الاداب ، بحثاً شاملاً مختصراً مفيداً ، صعب جداً ، لانه يتناول ١٥ قرناً واكثر . . . فكتاب تاريخ الاداب العربية سدّ ثلمة واسعة في صرح هذه اللغة ، كانت ولا تزال موضوع اهتمام المحبين لها العاملين على انهاضها .

« ومن فضائل الكتاب ، انك لا تعثر فيه على كلمة تمسّ الاداب والاديان . وهو في ثنايا سطوره يحض على الفضيلة ويُظهر جميل تأثيرها ، مشنّعاً ما نُظم في المجون . . مما يندى له الجبين . . . ولا بدع فالمؤلف مثقف الشبيبة ومهذب اخلاقها .

« ويجدر بنا هنا ان نلفت النظر الى انشاء الكتاب . فقد نسج فيه المؤلف على نمط السهل الممتنع ، مبتعداً عن التركيب المبتذل ، متحدّياً حسن الوضع وضبط الانشاء ، مما لا ينفر من مطالعته اللغوي الاديب ، ولا يصعب على الكاتب تفهّم معانيه . وله في الحاشية تفسير لكلماته التي يغلق فهمها على المبتدئ ، وشرح وافٍ لمستصعب الابيات . »

ثم اورد بعض مآخذ منها ان المؤلف اغفل ذكر النثر في الجاهلية ومعارف العرب في ذاك العصر . وانه اهمل ذكر عمر بن ابي ربيعة ، واطال البحث في البدع الاسلامية . واغفل عمداً ذكر الادباء الاحياء . وختم قائلاً :

« ليست هذه المآخذ منقصة من فضل المؤلف او قدر الكتاب ، فاكثرها راجع الى سعة الموضوع وضيق المجال في مؤلف وضع ليكون متداولاً بين ايدي الطلبة .

« ولو لم يكن فضل المؤلف غير سدّ النقص ، لكفاه فخراً . فضلاً عن محاسن الكتاب العديدة ، والمصاعب التي يعانيها الباحث في موضوع وعر المسالك

واسع الاطراف بعيد المآخذ ، غزير المواد كتاريخ الاداب العربية.

«فاذا شكرناه، فانما نشكره بلسان اللغة ومتأدبيها الذين اهدام مثل هذا الكتاب النفيس . واذا اثنينا عليه انما نثني على ادبه الجم واجتهاده . على ان يكون قدوة لغيره من الادباء ، فينشطوا الى مثل عمله المجيد ، جزاه الله بما يجزي به الفاضل الاديب.»

وقال صاحب جريدة لسان العرب بالاسكندرية ، من رسالة ، في ٢٩ يناير ١٩١٦ .

« كتاب موفور الفائدة ، جم النفع ، صحيح اللغة ، نازل من لبها في الصميم . اخذ بمحاسن الفاظها وجزالة عباراتها ، على صحة في تاريخ أئمتها ونوابغها ، وعدالة في الحكم على كبرائها وشعرائها ، وحسن اختيار الاحسن من اقوالهم. ولعمري لو خُيّروا لما اختاروا من ذلك الاحسن سوى ما أثبت لهم ، ولو احتكموا الى شيوخ عكاظ لما حُكم لهم أو عليهم بأعدل مما رأيناه...»

وقال الاستاذ خليل شيبوب ، الشاعر الرقيق ، من رسالة سنة ١٩١٦ :

« لو فُهمت الغاية التي وُضع لها هذا الكتاب ، لما وسمت اللغة كلمة يثنى بها على مؤلفه . فهو انما وضع لتفقيه تلامذة المدارس وتعليمهم «آداب اللغة العربية» . وما آداب اللغة سوى بحر خضم . يزخر عبابه ولا يسبر غوره . وروض تضاربت الوان زهوره ، وتشاكلت صفوف ثماره واغراسه . فجاءها المؤلف بصدر رحيب وقلم لبق ، متناولاً منها كثير الفائدة . مشيراً الى قليلها لا يُفضل شيئاً من النزر اليسير ، ولا يتجاوز صبر القارئ في الجم الكثير . وهو اول كتاب خُدمت به المدارس هذه الخدمة الجلى ، وضمنت به اللغة على الناشئة عهد رُقيّ وفتح قريب . »

ويحسن لدينا ان نختم هذا البحث بكلمة للاستاذ فؤاد افرام البستاني كتبها في نقد الكتاب المذكور ، قال :

«من شروط النقد الادبي المنصف ان يضع الناقد نفسه في زمن المؤلف ومكانه ، فينظر في البيئة التي ظهر فيها الاثر المنقود ويدرس ما تقدمه من الآثار في نوعه ، وما رافقه في الظهور ، وما تبعه ؛ ويحدد الصلة بين هذه

الآثار جميعها فيرى مبلغ تأثر المؤلف المذكور بما سبقه، ومبلغ تأثيره في ما تلاه ، ليعطي كل ذي حق حقه ، فيقرب حكمه من الصواب.

« ونحن اذا القينا نظرة اجمالية على العصر الذي ظهر فيه « تاريخ الآداب العربية » للمرحوم الاخ ساروفيم ڤكتور ، وما كان فيه من تواريخ الادب ، ومبلغ هذه التواريخ من مقتضيات ذاك الفن ، ادركنا قيمة الخدمة التي أداها المؤلف لطلاب المدارس خاصة ولادباء العربية عامة.

« لم يكن ما يذكر من تواريخ الادب العربي ، سنة ١٩١٤ ، الا تاريخ بروكلمان وتاريخ هوار ، وكلاهما قليل المنفعة لادباء العرب اذ ان الاول كتب بالالمانية والثاني بالافرنسية ولم يُعرّبا . اما في العربية فلم يكن ليذكر من هذا النوع الّا كتاب جرجي زيدان ، وهو مؤلف طويل توخى فيه صاحبه الفائدة التاريخية أوّلا ، فألمّ باكثر ما امكنه من تراجم الادباء ، فكان مرجعاً مفيداً للمشتغلين بتاريخ الادب ولكنه قلّما افاد طلّاب المدارس ، لانصرافه عن الاسلوب التدريسي وما يتطلبه من الابحاث المستندة في اكثرها الى تحليل الآثار وانتقادها والحكم عليها . فينتج ان كتاب الاخ ساروفيم ، بما فيه من حصر القسم التاريخي بتراجم الفحول من الشعراء ، والنوابغ من المفكرين ، وبما تخلله من تجربة في النقد الادبي لا بأس بها في غالب الاحيان ، قد اتى في حينه ، فسدّ ثلمةً واهية في تدريس الادب العربي. ولا يضيره اليوم الا انه ، عند ما أُعيد طبعه لثلاث سنوات خلت ، تُرك على ما كان عليه سنة ١٩١٤ ؛ فأتى متأخرًا عن عصره ، بعد ان كان سابقاً اياه بشوطٍ بعيد. وهي خلّة نراها في اكثر الكتب التي يستأثر الله بمؤلفيها قبل ان يتمكنوا من اعادة النظر فيها ، فتبقى واقفية بينا يسير العصر حولها بالعلوم والفنون ، فتتقهقر بحكم الطبع وتصبح قاصرةً عن الغاية المتوخاة.

على ان هذا القصور في كتاب الاخ ساروفيم يمكن معالجته بسهولة بان يُحذف منه بعض المغالاة في التقريظ ، ويعمّم نقد الآثار فيه ، ويُضاف اليه بعض التراجم ، ويحتفظ كل الاحتفاظ بالمقدّمات والتوطئات الجزيلة الفائدة ، فيصبح افضل كتاب مدرسي من نوعه.»

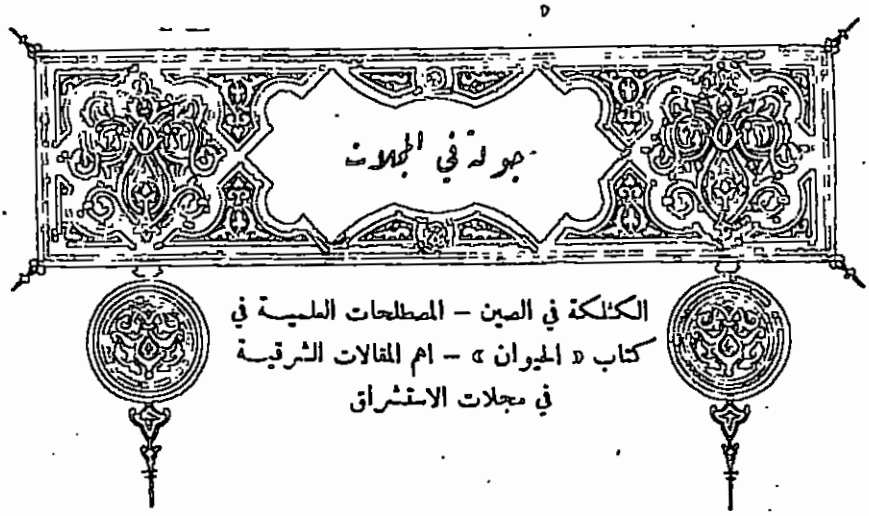

الكثلكة في الصين

تأثير المدارس الكاثوليكية في مستقبلها – تقرير كاهن صيني

الاب فيليب ونغ كاهن صيني معروف بسعة مداركه وصائب آرائه . عهد اليه الكرسي الرسولي العناية بامر زملائه الكهنة الصينيين القانونيين ، فقام بمهمته خير قيام . وقد ساعدته هذه المهمة على استطلاع حال الكثلكة في تلك الانحاء ، والاحاطة بمختلف شؤونها وحاجاتها ومبلغ تقدمها ، وذرائع تهيد العقبات امامها ، وتوقيتها شتى الاخطار التي تتهددها . وقد وضع في جميع ذلك تقريراً رفعه الى شركة « فيدس » البرقية ، فعرّبه البشير (١ ت١ ١٩٣١) ايقاناً للكاثوليك الناطقين بالضاد على حال اخوانهم في القطر الصيني . قال الاب ونغ :

« اهمُّ شيء يلفت النظر من شؤون الكنيسة الكاثوليكية لهذا العصر في بلادنا الصينية تباينُ جنسيّات المرسَلينَ الذين يقيمون فيها . فلقد كان جلُّهم من قبل افرنسيين او ايطاليين ، فاصبحوا الآن مزيجاً من نحو ٣٠ امّة . ويتبين من الاحصاء ، الذي وضعه اخيراً الآباء اليسوعيون في شانغ هاي ، ان في الصين ٨,١٦٨ مُرسَلاً بين كهنة واخوة وراهبات ، بينهم ١,٤٢٦ صينياً وصينية . والآخرون شتيت من جنسيات متباينة .

وقد بلغ عدد المقاطعات التي انشأها الكرسي الرسولي في هذه البلاد حوالي المئة ، منها ٤٩ مقاطعة أنشئت في السنين العشر الاخيرة ، و ٣٠ من نحو خمس سنين فقط . وهذا برهان على النجاح الباهر الذي تلاقيه الكثلكة اخيراً في هذه الديار .

ولتباين جنسيات المرسَلين في الصين وتوافر عدد الكهنة الصينيين فيهم

عاماً بعد عام أثرٌ ممدوح في ذهنية غير المسيحيين من اخوتنا ابناء هذه البلاد . لان ذلك يبعد عنا التهمة التي يحاول هؤلاء الصاقها بنا وهي اننا نخون وطننا باعتناقنا ديانة الاوربيين ؛ ويبين لهم باجلى برهان ان الديانة الكاثوليكية غير مقتصرة على الاوربيين وحدهم ، ولكنها ديانة المعمور طرًّا من جميع النحل والجنسيات .

ومن المقاطعات الصينية التي تزدهر فيها الكثلكة ازدهارًا عظيماً مقاطعة شيهلي المسماة الآن هوبي . فان في هذه المقاطعة ١١ مركزًا دينياً بين نيابة ومديرية رسولية ، و ٦ مراكز اسقفية ، و٣٤٤ كاهناً صينياً ، و٧١٧ الف كاثوليكي صيني ؛ مما يكاد يكون الثلث من مجموع عدد الكاثوليك في الصين كلها البالغ نحوًا من مليونين و ٥٠٠ الف نفس.

وقد اضطُهد كاثوليك هذه المقاطعة اكثر من سواهم في السنة ١٩٠٠ ، اثناء ثورة البوكسر ، وتفوّقوا على غيرهم من ابناء المقاطعات الاخرى الصينية في عدد الشهداء الذين ماتوا منهم لاجل الايمان ، مما جاء مصداقاً للعبارة القائلة : « ان دماء الشهداء هي بذار النصرانية.»

ان جهود المرسَلين في هذه المقاطعة مكنتهم ،رغمَ ما قام فيها من الاضطهاد الذريع ، من تحويل ثمانية اعشار سكانها الى مسيحيين صادقين يبذلون انفسهم في سبيل دينهم . وهذا يشير الى تأهب الامة الصينية لتقبل تعاليم المسيح ، والى اننا ، اذا واصلنا الجهاد في هذا السبيل ، امكننا اجتذاب العشرين الباقين في ولاية هوبي ، بل امكننا اجتذاب كثير من الصينيين الوثنيين في الولايات الاخرى الى حظيرة الدين المسيحي . وهكذا تُصبح الصين بلادًا مسيحية تسود فيها تعاليم الانجيل وفاقاً للمبدأ الذي نعتنقه ونسعى اليه ، وهو ما نعبر عنه بتلك العبارة المشهورة التي نرددها : « الصين للصينيين ، والصينيون للمسيح » .

ثم انه لا يسعنا الاقتناع بان من في الصين الآن من الكهنة الكاثوليك يكفي عددهم لخدمة الرعايا ومزاولة اعمال الرسالة ، حتى ولو اضفنا اليهم من هناك من الاخوة والراهبات ومعلمي التعليم المسيحي الذين يربي عددهم على اربعة آلاف .

لاننا لو جمعنا كل هؤلاء مع الكهنة لاصاب كلًّا منهم خدمة ما يعادل ٦٩٣ مؤمناً وهداية ١٣٠ الف غير مؤمن . ولو فرضنا ان امرًا صدر على حين غرّة بان يغادر المرسلون الاجانب بلاد الصين ، الامر الذي يعدّ غير بعيد الاحتمال في هذا الوقت ، عندئذٍ يصبح كل كاهن صيني وطني مضطرًا الى الاهتمام بخدمة ٧٣٤ مؤمناً . واذا اضفنا الى هؤلاء من في المدارس الاكليريكية من المرشحين للكهنوت بعد سيامتهم كهنة ظل العدد غير كافٍ للقيام باعمال الخدمة والتبشير . وعلى هذا كان لا بد من التفكير باعداد العدد الكافي من الكهنة الكاثوليك الوطنيين لضمان مستقبل الكنيسة وصيانة كيان الكثلكة في هذا القطر الصيني.

ولا بدّ فوق هذا من الاهتمام منذ الآن بتربية النشْ على مبادئ الآداب المسيحية بتوفير عدد المدارس الكاثوليكية وتجهيزها بالبرامج الحديثة الواقية للشبان من مبادئ الكفر والاباحية وفساد الاخلاق التي تهاجم بلادنا بقوة في هذا العصر .

ان الاحصاء الذي اجري في هذا العام تبين منه ان مدارسنا العالية ١٤٨ فيها ٨,٣٥٤ طالباً ، والثانوية ٣١٩ فيها ١١,٤٩٤ طالباً ، والبدائية ٢,٨٧٣ فيها ٥٦,١٨١ طالباً ، ومدارس الصلوات والتعليم المسيحي ٩,١٠٢ فيها ١٧٠,٣٩٧ طالباً ، وجملة من يختلف الى المدارس الكاثوليكية ٢٤٦,٧٢٠ طالباً . ولا يغربنّ عن بالنا ان نحوًا من نصف عدد الكاثوليك الصينيين هم في سنّ الدراسة . فيكون لدينا الآن نحو مليون منهم في هذا السنّ لا يجدون مدارس كاثوليكية تعمل على تثقيفهم . وهذه الارقام تكفي لتبيان حاجتنا الى هذه المدارس ، وتحمل اصحاب الغيرة على مستقبل الكثلكة في الصين على التفكير في ايجادها سدًّا لتلك الحاجة .

ثم ان بعضاً من رجال الحكومة الجديدة في الصين كانوا وما برحوا يقيمون العراقيل في وجه حرّية الاديان وحرية التعليم محاربةً للمبدأ الكاثوليكي . وقد جاهد اخواننا الكاثوليك في مقاومتهم جهادًا مشكورًا كاد يكلل بالفوز . على انه لا يزال هناك مجال لاطراد السعي حتى تنتفي جميع تلك المحاذير ، فيتوافر

عدد الكهنة وتنمو المدارس الكاثوليكية وتعمل عملها المثمر في جوّ حرّ هادئ مفعم بالآمال والاماني».

المصطلحات العلمية في كتاب « الحيوان »

نشر الاستاذ مصطفى الشهابي، في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (تموز وآب ١٩٣١، ص ٥٠١)، طائفة من المفردات العلمية اقتبسها من كتاب « الحيوان »، للجاحظ، فحدّد المعنى الذي استعملها فيه المؤلف وذكر ما يقابلها في كتب ذوي الاختصاص من الفرنج. فرأينا ان ننشرها مجرّدة عن الشرح والتعليق وذكر المآخذ، تسهيلاً لفائدة طلّاب المصطلحات العلمية:

صنف، نوع	variété
قسمة، تصنيف	classification
جنس، ضَرْب، نوع (١	espèce
ضَرب	catégorie, division
نوع (١	genre
عرق	race
تقطيع	morphologie
مجسّة	mariement
شمائل	caractères
مشترك	omnivore
توطين	acclimatation (٢
اطول ما يكون، في الفرط	au maximum
تركيب	composition
خاصّة، خاصّية	propriété
طيور قواطع	oiseaux migrateurs
طيور اوابد	oiseaux indigènes
قائلة	sieste

---

١) يتفق جمهور علمائنا اليوم على تخصيص لفظة « genre » بلفظة « جنس »، ولفظة « espèce » بلفظة « نوع »؛ ويصمم على ترجمة « variété » بـ « صنف »، و « race » بـ « عرق ».

٢) كان المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وضع لهذا المعنى لفظة « تبليد »

الاحتفال بتدشين نصب الاب كاتن

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

حوليات الجغرافية Annales de Géographie, *15 septembre 1931*

M. Clerget, *L'habitation indigène au Caire. Essai de classification géographique, p. 527-543.*

المساكن الوطنية في القاهرة

يبدأ الكاتب مقاله بذكر ما تفيده مصر خاصة والشرق عامة من مظاهر اختبارات الجغرافية البشرية ، وذلك لكثرة ما فيها من اختلاف طرق الحياة ، وتباين درجات الثقافة . ثم ينتقل الى ذكر عقلية الشعب المصري في بناء مسكنه . فالمصري ، على قوله ، لا يهتم الاهتمام الكبير بمنزله ، ولا يسكن منزل الميت ، فهو يصلح فيه قليلاً او كثيراً ، ولكنه لا يهدم الّا في النادر . اما في البناء فيستعمل الطين المجفف بالشمس واللبن ، على كون جبل المقطّم غير بعيد ومن الممكن ان تُستخرج منه الحجارة الكلسية الحسنة ؛ ولكن هذا العمل يكلف تعباً لا يراه المصري لازماً بالنسبة للنتيجة المتوخاة . فاذا استعمل الحجارة فهو يستعملها للضروري من البناء كالجوامع اولًا ، ثم اساس البيوت ، وقد يبني بها بعض جدران الطبقات الاولى من المنازل . وهنا تدفعنا الحقيقة الى القول ان اختيار الحجارة واستخراجها من المقالع وطريقة نحتها لا تدلّ على كثير من المهارة والذوق في المقاولين ولا في البنائين .

وهناك شيء آخر يجدر بالذكر ، وهو ان الخشب النادر في تلك البلاد ، يوجد بكثرة في بناء البيوت ، يستوردهُ البنّاؤون من الخارج ، ويساعد على حفظه المناخ الجاف .

ثم ينتقل الكاتب الى قسم آخر يدرس فيه سلسلة الاعمال التي قام بها البناؤون للتوفيق بين المنازل ومقتضيات المناخ وما اليه من العوامل الجغرافية ، فيذكر قول احدهم من ان جميع اقسام المنزل نُظر في بنائها الى تأثير الحرارة . وهو قسم استوفاه المؤلف درساً ولا سيما في ما خصّ السقف والنوافذ . فدلّ ،

في كل ذلك ، على ان البناء الوطني في مصر يفضل المهندس المصري في السير حسب مقتضيات المناخ.

ويمكننا القول نفسه عن طرق البناء في بيروت ايضاً.

الوثائق الشرقية Archiv Orientalni, *vol. III, n° 2, août 1931*

Josef Dobiaš, *Les premiers rapports des Romains avec les Parthes et l'occupation de la Syrie, pp. 215-256*

العلاقات الاولى بين الرومانيين والبرتيين واحتلال سورية

من اهم ما اتاه الرومانيون من الاعمال في حياتهم الطويلة هي انهم الحقوا بهم بلاد سورية سنة ٦٤. اما اسباب ذلك فيردها مؤرخو العصر عادةً الى طمع پومپيوس.

على ان المؤرخ الاثري فرانس كومون قام مؤخراً وعرض سبباً جديداً لالحاق سورية ببلاد الرومان ، وهو أن الرومانيين كانوا بحاجة ماسة الى ايقاف تقدم البرتيين ومنعهم عن الوصول الى البحر المتوسط . هذا وقد كان كاتب المقال قد الف تاريخاً لمقاطعة سورية الرومانية فذكر ان پومپيوس كانت غايته القضاء على القرصنة البحرية ، فبدأ سنة ٦٧ باكتساح قيلقية ثم جزيرة اقريطش ، وانتهى بان اكتسح سورية سنة ٦٤. فلما ظهر رأي كومون ، اعاد الكاتب نظره في الامر ، فدرس ، في المقال الذي نحن بصدده ، علاقات رومة بالبرتيين ، وعلاقات هؤلاء بسورية منذ اول اتصالهم برومة حتى الزمن الذي استلحق فيه پومپيوس مقاطعة سورية. وهو درس غاية في الدقة واصول النقد يظهر مثالاً صالحاً لمن يريد من ابناء بلادنا ان يتعلم كيف يكتب التاريخ.

شذرات

تحفة عربية (١)

ظهر مؤخرًا في المانية تأليف جغرافي عنوانه الخارطات العربية يحتوى على ٨٣ خارطة عالمية ، و ٣٦٤ خارطة اخرى جزئية ، وضعها العرب قبل القرن الرابع عشر ، وبقيت كلها تقريباً مجهولة حتى الآن مدفونة في مكاتب القاهرة والاستانة ولندن واكسفورد وليدن ولينغراد وبرلين وهامبورج وڤيانة وبولونية.

ولهذا التأليف قيمة علمية ثابتة ، لانه يحتوي على منابع العلوم الجغرافية في الاجيال الوسطى. وقد قدّره حق قدره علماء الجغرافية امثال پنغ وڤاگنر وبناير وفيلبسون وغيرهم بما أثنوا به على واضعه.

اما الخارطات فقد ظهرت مصوّرة عن الاصل العربي ، واسماء البلدان فيها باللغة العربية ثم بالحروف اللاتينية. وصاحب هذا التأليف الاستاذ كونراد ميلّور هو كاهن كاثوليكي لاتيني دكتور في العلوم الطبيعية ، قد نشر خارطات قديمة اخرى ذات قيمة كبيرة ، منها مصوّر پوتنگر الموضوع سنة ٣٧٥ م. فهو ذو شهرة عالمية بنشر الخارطات وله اطلاع على كل الخارطات العربية . وقد وصف في تأليفه منها كل ما تقدّم ذكره من العدد الكبير ، ولا شكّ ان عالماً مثله قدير ان يحكم على ما عرف العرب في الاجيال الوسطى من المدن والانهار والجبال في كل بلاد .

وظهر مع هذا التأليف ايضاً خارطة العالم التي كان الادريسي قد خطّطها سنة ١١٥٤ م. في بلاط الملك روجر الثاني الصقلي ، وكانت محفورة على منضدة من الفضة ، غير انها قد تأكلت وفنيت مع الزمان. فجدّدها الاب ميلّور معتمداً على ستة وستين مصوّرًا جغرافياً وجدها في المكاتب المتفرّقة ونشرها ملوّنة

(١) Konrad Miller, *Mappae arabicae*، ستة اجزاء مغلفة مع خارطة الادريسي بالالوان ثمنها ١٠٠ مارك ، وتطلب من المؤلف وعنوانه: الاستاذ الدكتور كونراد ميلّور ستوت جارت وبرتمبرج ستافلنبرجشتراسن ٥٤ المانية.

مجهم مترين فجاءت أجمل ما تزدان به جدران المجالس وردهات الاستقبال.

ومما يجدر بالذكر ان الغرب طيلة هذه الاجيال لم يأتِ بشيء من هذا القبيل ، لولا ان ملكاً مسيحياً، روجر الثاني، قد ساعد صديقه الادريسي في تخطيط خارطته العالمية بما يختص باوربة . ويستدل من بساطة رسوم الخارطات انها كانت تستعمل في المدارس ، وان جميع المتعلمين كانوا يدرسونها.

فخلاصة القول ان تأليف الاب الدكتور ميلور يرفع شأن الثقافة العربية في الاجيال الوسطى. وقد وضعه بلغة المانية سهلة المنال. فمن يفهم هذه اللغة يجد في مطالعته فوائد جمة ، ومن فاته التأليف امكنه ان يستفيض عنه بالاطلاع على الخارطة نفسها.

الاب كوبل اليسوعي

اللبن الرائب

قال احد العلماء المسمى باكرت :« لو اخذ المرء كل يوم قدحاً من اللبن الرائب لابعد عنه الموت ! ». وكان قديماً احد الاطباء قد ذكر في احد مؤتمرات باريس ان اللبن الرائب هو علاج خصوصي لمكافحة ذرب الاطفال . وقد اطرأ مؤخراً متشنيكوف الشهير استعمال اللبن الرائب كعلاج عمومي في كل الادواء. والامر الذي يستدعي الاستغراب هو ان اللبن الرائب يأتلف مع اغلب المعدان لم نقل كلها . فمن صفاته الحسنة انه اسهل هضماً من اللبن العادي اي غير الرائب ، ويمكن عده بالتالي من الاغذية الشديدة الموافقة في العلل المنهكة ، لانه يزيد التغذية بسبب امكان اخذ مقادير كبيرة بدون خوف التخمة . وهو بالوقت ذاته يعد كشراب مدر للبول وغذاء فوسفاتي اي مرمم للقوى . ولا نكير انه بسبب طعمه الحمضي قد يؤثره المرضى على اللبن غير الرائب.

ويعتقد متشنيكوف ان السموم التي تتولد في المعى الغليظ من توالد الميكروبات تسمم البدن بامتصاصها وتسبب تضخماً في النسيج الخلوي يعقبه تصلب الاعضاء ، وبناء على اعتقاده هذا المعزز بالتجارب والابحاث قد ثبت له ان الخمير اللبني الموجود في اللبن الرائب هو من اشد اعداء تلك الميكروبات السامة الكامنة عادة في المعى الغليظ .

C. H. Vosen und Franz Kaulen. Kurze Arbeitung zum Erlernen der hebräischen Sprache für gymnasien und für des Privatstudium Vierundzwanzigste Auflage, *bearbeitet von* Jakob Schumacher. *in*-8°, 179 *pp. Prix :* 3,40 *M. Freiburg im Breisgau, Herder und C°*, 1931.

غراماطيق عبراني

هو الغراماطيق العبراني المدرسي المشهور يظهر مجدّدًا طبعته للمرة الرابعة والعشرين . وقد عُني به ، منذ طبعته العشرين ، الاستاذ شوماخر فلم يألُ جهدًا في زيادة الصفات الحسنة التي جعلت للكتاب هذا الانتشار الواسع . وفي آخر المجلد ملحقان يختصّ الاول بالنصوص العبرانية في العهد الجديد ، والثاني بكثير من التمارين والتعابير المفيدة يتبعها معجم كافٍ . كل ذلك يظهر من الطبع جميل .

Axel Moberg : An-Nasi' in der islamischen Tradition - *in*-8° *de* 54 *pp. Lund, Hakan Ohlssons Buchdruckerei*, 1931.

النسيء في التقاليد الاسلامية

وردت كلمة « النسيء » مرةً واحدة في القرآن (٩ : ٣٧) دون ان يشرحها النبي . ولكن يظهر من الآية السابقة (القرآن ٩ : ٣٦) ان اللفظة المذكورة تتعلق بحساب الايام او ما ندعوه اليوم بالروزنامة . غير ان مفسّري القرآن وارباب الحديث اولوها على تآويل متعدّدة تختلف بعضها عن بعض اختلافاً يُذكر . فقام المؤلف وجمع كل التآويل ، وانتقدها في كتابه هذا . ويظهر ان اللفظة واستعمال « النسيء » اقتبسه العرب من يهود الجاهلية ، كما انهم اقتبسوا في ما بعد عن الآراميين استعمال لفظة « كبيسة ». ا . ه . ل .

Villanova Gerster (P. Thomas O. M. C.) : Familia veteris foederis. *in*-8°, 264 *p.* 1931. *L.* 8. *Casa editrice Marietti, Torino* 118.

العائلة في العهد القديم

القى المؤلف هذه الابحاث محاضراتٍ على مبتدئي رهبنته اولًا ، ثم جمعها

في هذا المجلد قاسماً اياها الى ثلاثة اقسام: العائلة في العهد القديم باعتبار تأليفها، ثم الصلة بينها وبين الله، ثم علاقتها بمثيلاتها. فجاء الكتاب كامل الابحاث وافي المعلومات، وان لم يكن ذا مظهر علمي؛ وهو يأتي، دون شك، بالفوائد الجزيلة للكهنة وطلّاب الكهنوت، فيعينهم على مواضيع التأملات والمواعظ. وهو مكتوب بلغة لاتينية سهلة وانيقة معاً. ج. ل.

Schmid (Dr Josef): Zeit und Ort der Paulinischen Gefangenschaftsbriefe mit einer Anhang über die Datierung der Pastoralbriefe. *gr. in*-8° *XII*-170 *pp.* 1931, *Herder. Freiburg im Breisgau* 8 *M.*

زمن ومكان ارسال رسائل القديس بولس

مؤلف هذا الكتاب استاذ تفسير العهد الجديد في دلنكن، وكان قد ألّم نوعاً ما، في كتاب سابق على رسالة القديس بولس الى الافسسيين، بالموضوع الحالي. اما اليوم فقد عاد اليه وخاضه بتدقيق فبين ان رسائل القديس بولس الى الافسسيين والكولوسيين، والى فيلمون، والى اهل فيلبي لا ترقى الى عهد أسره الاول في رومة فحسب بل الى زمن اقدم. ثم انتقد جميع الفرضيات التي قُدّمت في سبيل تحديد هذا الزمن هل كان مدة السنوات الثلاث التي قضاها القديس في افسس ام مدة اسره في قيسارية، فاستنتج ان كلها لا يُستدّ بها، على عكس التاريخ التقليدي. ثم اردف البحث بملحق في تعيين تاريخ الرسائل الرعائية. ج. ل.

E. de Keyser: Le grand péril de la France missionnaire. *in*-12, 222 *pp. Prix*: 12 *f*. *Paris, Edition Jules Tallandier* 1931

الخطر الاعظم الذي يهدّد فرنسة المرسلة

كتاب رشيق كتبه المؤلف لبعض مناظريه من الذين لا يفهمون بل لا يودّون ان يفهموا مهنة فرنسة في ارسالياتها، فلا يتأثرون بانتشار ثقافتها ولا يتحمّسون لسعة نفوذها. هذا والكاتب متشائم نوعاً في ما خصّ فائدة كتابه فيقول: «ليست هذه الصفحات الّا ضربتا مطرقة على مسامير صمّ انفاذه...» على ان متابعة الضرب على نقطة واحدة قد تؤدي الى شيء من الغاية المتوخاة. ولنا الامل ان هذا الكتاب يبدّد بعض الغياهب في عقول ذوي النيات السليمة الذين يرغبون في ان يروا ويسمعوا ويفكروا.

Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. *t. III*, Maroc - Tunisie - Syria. *par* G. Hardy, R. de Caix, H. Dehérain. 1 *vol. illustré in-4°, Prix, broché* : 150 *f°. Plon*, 1931

تاريخ المستعمرات الفرنسوية وانتشار نفوذ فرنسة في العالم
الجزء الثالث : مراكش ، تونس ، سورية

هذا المجلد حلقة من سلسلة تاريخ المستعمرات الفرنسوية المنشورة بادارة الاستاذين غبريال هانوتو ، والفرد مارتينو . وقد ظهر قبله مجلدان خصّا بتاريخ المستعمرات الفرنسوية في اميركة ، وتاريخ الجزائر . وهذا الثالث يتضمّن تاريخ مراكش وتونس بقلم الاستاذ جورج هاردي مدير مدرسة المستعمرات ، وتاريخ سورية بقلم السيد روبر دي كاي الذي عرفناه في بلادنا ، يلحقهما بحث طويل عن الاثر العلمي الفرنسوي في سورية والعجم بقلم الإستاذ دهيرن امين مكتبة المعهد الفرنسوي . يزين ذلك عددٌ عديد من الرسوم السوداء والملوّنة بريش الفنانين بوشور ، وبوسي ، وڤيكير ، وشالون ، ومول ، مما يجعل للكتاب مظهراً غاية في الجمال يرغب الكثيرين في اقتنائه ومطالعته .

ولا يسع المطالع الّا ان يستخلص غاية المؤلف فيرتاح اليها ، وهي عرض نتائج ما قامت به فرنسة من الاختبارات الاستعمارية في مناطق البحر المتوسط ، الدائرة كلها حول تعزيز منطقة الجزائر المهمة . هذا على كون نفوذ فرنسة في تلك المناطق لا يبدأ بالامس ، بل هو عريق في القدم يرقى الى عصر الصليبيين ، بل يصل في بعضها الى زمن انتشار المسيحية التي وصلت الشرق بالغرب فجمعتها في مدنية واحدة . وعندما تتمّ هذه المجلدات بتاريخ مصر الذي سيظهر جزؤه الاول قريباً في المكتبة نفسها ، تصبح المجموعة تاريخاً كاملاً للمدنية في مناطق البحر المتوسط . وهو تاريخ جديد مبتكر في بابه يبدأ بالموضوع منذ اصوله البعيدة ثم يتتبع تقدّم المدنية عصراً فعصراً حتى يصل الى الاثر الاستعماري الحالي فيحدّد معناه الحقيقي ، ومهداته القديمة ، ونتائجه المعقولة .

فيذكر ، في ما خصّ بلاد تونس ، ما يتضمّنه مبدأ « الحماية » من اعمال ومؤسسات تدفع العناصر المختلفة الى الاشتراك في المنفعة العامّة مع الاحترام التامّ لتقاليد الشعب ودينه وحريته .

اما في ما خص مراكش ، فاستحق الذكر الجميل عمل المرشال ليوتي الذي اتم به الاختبارات العريقة في القدم فنجح النجاح الباهر ، وعادل اشهر رجال العمران . واما سورية فتاريخها صلة لتاريخ الصليبيين ، ونتيجة لحماية المسيحيين في الشرق . تظهر فيها الروح الفرنسوية بكل ما اتصفت به من مرونة ولطف وعاطفة قلبية وصداقة متينة وعمل دائب دائم في سبيل المثل الاعلى والخير الانساني الشامل . فكانت لفظة « الانتداب » افضل الالفاظ للدلالة على هذه المعاونة بين الشعبين ، وطريقة « الانتداب » افضل الطرق للوصول الى الغاية المقصودة التي تجعل من الشعب المنتدَب عليه عائلة واحدة تسير واثقة في كنف الشعب المنتدِب الذي يبادلها الثقة ويمحضها الاخلاص ويدربها في نهج التقدم والازدهار . هذا ما يتبين من كلام السيد روبر دي كاي الذي اجتهد في شرح انواع الانظمة المختلفة التي اختصت بها هذه البلاد ، وذلك بكل حرية دون ان يخفي الصعوبات والعقبات التي تلاقيها فرنسة في القيام بواجبها .

بقي ان نذكر بحث الاستاذ دهيرن الذي جمع الجهود العلمية والاثرية التي قامت بها فرنسة في سورية وبلاد العجم ، فاظهر ما تضمنها من التجرد الحقيقي وما نتج عنها من الفائدة العلمية لتاريخ المدنيات القديمة .

M. Besson : La tradition coloniale française. *in-8° de 174 pp.* 20 *planches, Prix, broché* : 20 *f°. Gauthier-Villars et C^ie^, Paris,* 1931

التقاليد الاستعمارية الفرنسوية

ان نجاح المعرض الباريسي الاستعماري لفت انظار العالم الى المستعمرات الفرنسوية وقيمتها ، مبرهناً لذوي الشك ان في الطبع الفرنسوي استعدادات مهمة للاستعمار والتمدين . على انه ، فوق ما يحمله زائر ذاك المعرض من المناظر الفنية والبراهين الحسية على تقدم مستعمرات فرنسة في قارات العالم الخمس ، كان من الضروري الدلالة على ان هذا التقدم ليس وليد اليوم بل هو نتيجة عمل طويل صامت يرقى إلى الاعصر البعيدة . وهو ما اراد ايضاحه المؤلف فقام يذكر القوم بتلك التقاليد الاستعمارية كاتباً تاريخها ، معدداً الحوادث المتتابعة التي جعلت من فرنسة دولة استعمارية عظيمة ، جامعاً ما تركته من تأثير في عقلية الشعب حتى اصبحت التقاليد الاستعمارية القديمة تقاليد وطنية

ليس غير . هذا وانشاء الكتاب على جانب كبير من حسن الذوق والرشاقة تزينه عدة رسوم جميلة .

Islamica, *vol. V, fasc.* 1. *Leipzig, Asia major*, 1931. *Prix, broché*: 16 *M.*

مجلة الاسلاميات : الجزء الاول من المجلد الخامس

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء بحث ضافٍ عن « النسيب » في الشعر العربي القديم وما يختص به من اساليب مقررة لا يتعداها الشعراء ، وعن الدور الذي تمثله المرأة في هذا الشعر ، يؤيد ذلك كثير من الاشارات الى المجاميع الشعرية القديمة . ثم في الجزء نفسه قسم اول لمقال طويل على انواع « الشهادة » في الدين الاسلامي وطرق استعمالها واسمائها . ٥٠ ل .

Annuario della Reale Accademia d'Italia. *II*, 1929-30, *Anno VIII-Roma, in-8°, illustré. Prix : L.* 25

تقويم الاكادمية الملكية في ايطالية

هو عدد السنة الثانية من هذا التقويم الذي يجمع اوفى المعلومات عن اعضاء الاكادمية ، واعمالها المختلفة ، وما تقوم به من منشآت ، واعانات تعليمية ، ومسابقات وجوائز الى غير ذلك من الاعمال المفيدة .

شرح الارجوزة بالرجز

٣ اجزاء — ٤٢٠ ص . متوسطة صغيرة — المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٠ و١٩٣١

للمرحوم الاستاذ نجيب فرج الله فياض ولع بالقواعد العربية اكتسبه من مزاولة التعليم زمناً غير قصير ، وهذا الولع دفعه الى نظم شرح المرحوم الشيخ اليازجي للارجوزة ، فاقدم على ذلك وطبع منظوماته في ثلاثة اجزاء تنتهي عند باب « ان واخواتها » . وهو لم يترك مثلاً او شاهداً في الاصل المنثور الا نظمه وكل ذلك بسهولة ووضوح . ومن الاطلاع على كتابه يظهر مبلغ الجهد الذي بذله في سبيله ، ولو لم تفاجئه المنية لاتم شرح الارجوزة كله كما اتصل بنا .

اما قيمة الكتاب فهي انه لو جاء منذ عشرين سنة على الاقل لاحدث ضجة واثراً عظيمين في عالم التدريس . اما اليوم فقوائده بالاكثر هي للمعلمين وطالبي التعمق والوقوف على جميع الآراء في القواعد العربية . ف . ا . ن .

فتح العرب للشام

تأليف جورج مرعي حداد

المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٣١-١١٢ ص . متوسطة

ان فتح العرب للشام في القرن السابع لا يزال من مشكلات التاريخ الشرقي. على ان الكتاب الذي نحن بصدده يظهر من افضل الابحاث المكتوبة باللغة العربية في الموضوع المذكور . طالع صاحبه من اجله مؤلفات المستشرقين فاستفاد منها فائدة صالحة. انما اسفنا لانه لم يتمكن من استقلال آثار المستشرق كايتاني في « حوليات الاسلام » . وقد استغربنا منه ان يذكر في لائحة مصادره كتباً لا فائدة منها « كفتوح الشام » للواقدي ، وهو كتاب اشبه بالحكايات ، « وكتاريخ العرب» لسيديللو واقل ما يقال فيه انه مجموعة خرافات من نوع قصص العجائز . هذا وقد اكد المؤلف (ص ٥٥) « دوام دمشق عاصمة برّ الشام رغم تقلبات العروش والامم » ، وهو ما سنبين خطأه في مقال خاصّ سننشره في «مشرق» الشهر القادم . وكان قد ذكر في الصفحة التاسعة، السطر الخامس ، بعض المؤرخين فلم يعرف ان « اوتيخوس» (او يوتيشوس كما يسميه) « وابن البطريق» اسمان لرجل واحد نشر تاريخه المكتوب باللغة العربية المرحوم الاب شيخو.

ه . ل.

المُشرقيات

نظم المحامي نجيب مُشرق

٢١٠ ص متوسطة ـ مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣١

سفر جميل المظهر بورقه الصقيل ، وحرفه الزاهي ، وطبعه المشرق ، وصوره العديدة الواضحة ، حوى نحو ١٤٠ متطوعة من الشعر نظمها المحامي المعروف الاستاذ نجيب مشرق في حوادث جرت له او لاصدقائه ومعارفه ، فاراد تدوينها تارةً مهنئاً مادحاً ، وطوراً راثياً متحسراً ، وحيناً مداعباً ، واحياناً مجاملاً. وقد نثر الى جنب اكثر القصائد رسوم من قيلت فيهم وبعض الشرح عن سبب النظم وظروفه. فجاء الكتاب من الاسانيد المفيدة لتاريخ بعض الادباء في اوائل القرن العشرين.

ف . ا . ب .

تقويم البشير لسنة ١٩٣٢

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

٢٤٨ ص متوسطة – المطبعة الكاثوليكية – الثمن: ٢٥ غرشاً لبنانياً سورياً

اصبح من الناقل الكلام على هذا التقويم النفيس لما اتصف به من الشهرة الواسعة ، وما لاقاه من الرواج العجيب . ولم يكن هذا الرواج الا نتيجة ما تضمنه من المعلومات المختلفة في التاريخ والجغرافية والاقتصاد والسياسة والادارة والتجارة والفنّ والادب . وقد زاد على ذلك ، هذه السنة ، رسوماً غاية في الدقة وحسن الطبع لاهمّ الآثار العربية كقصر اشبيلية وقاعة الملوك فيه ، ومحراب جامع الحمراء واحد ابوابه واحدى نوافذه ، ومحراب جامع قرطبة ، وباب الفتوح في القاهرة ، وما الى ذلك من روائع الفن العربي . ومما يجدر بالذكر في ابحاثه الجديدة نشره قانون المطبوعات في لبنان ، وقانون الملكية ، ووصف مختصر للقارّات الخمس والدول القائمة فيها ، وجدول مطوّل بمعدل سعر الليرة السورية بالنسبة الى العثمانية الذهبية من سنة ١٩٢١ الى ١٩٢٧ اذ ثبتت السورية على قيمتها الحاضرة . وقد طُبع على ورق صقيل بالاتقان الذي عُرف به . ف . ا . ب .

كتاب الصلاة

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣١ – ٧١ ص . صغيرة

ذكرنا في مشرق الشهر الفائت (ص ٨٠٠) ان قد تنصر ٦١ علوياً من رجال ونساء واولاد . فكان من الضروري ان يُقدّم لهم كتاب يعلمهم الصلوات الضرورية ويعينهم في واجباتهم الدينية . فوضعت المطبعة الكاثوليكية هذا الكتاب اللطيف محتوياً على جميع الصلوات اليومية مع ذبيحة القداس ، وشرح اهم الاسرار المقدسة ، بلغة سهلة وطبع جميل يزينه رسوم رمزية موافقة جداً .

* كنيسة شامات * المطبعة الكاثوليكية ، ١٦ ص . متوسطة – هي المقالة الاثرية التاريخية التي نشرها حضرة المنوري يوسف العمشيتي في مجلتنا ، رأى ان يطبعها على حدة تعميماً للفائدة .

* الواسطة البهية في القلادة البطريركية * المطبعة الكاثوليكية ، ١٦ ص . متوسطة – وهذه ايضاً من آثار المؤلف نفسه الذي لا يزال دائباً على فائدة بني قومه في تاريخهم وآثارهم ، نشرها ايضاً في « المشرق » . ثم طبعها على حدة ، خاصاً اياها بترجمة الطيب الذكر والاثر البطريرك ارميا العمشيتي .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول ١٩٣١

لبنان وسوريه — قررت المفوضية العليا منع الذين لم يبلغوا الحادية عشرة ذكورًا واناثًا من الاشتغال في المصانع وما شاكلها من الاعمال القاسية التي تضر بصحتهم . وفرضت على المخالفين عقوبات صارمة .

* اذاعت وزارة المعارف اللبنانية بلاغاً حذّرت فيه معلمي المدارس الرسمية من الاشتغال بالسياسة المحلية .

فلسطين — كان من جرّاء تدهور الجنيه الاسترليني ان الجنيه الفلسطيني تبعه في ذلك، فنتج شبه شلل في الحركة التجارية زاد صعوبة الازمة الاقتصادية .

مصر — على اثر هبوط الجنيه الاسترليني ، وتجربة بعض الصيارفة التلاعب بقيمة الجنيه المصري ، منعت الحكومة تصدير الذهب من القطر المصري .

* قرر مجلس الازهر الاعلى التصديق على لائحة اجراءات محاكمة العلماء الذين يقع منهم ما لا يناسب وصف العالمية ، وانتداب بعض المدرسين من الخارج للتدريس بكليات الجامع ، واحالة عدد كبير من العلماء وطائفة من مدرّسيه الى المعاش لعدم كفايتهم العلمية .

العراق — القى الملك فيصل ، في مأدبة اقامها للوفود العراقية الآتية للسلام عليه ، خطاباً تاريخيًا الم فيه بتقلبات الاحوال في العراق منذ المدنة ، وبساعي جلالته في السير بالبلاد في نهج التقدم والاستقلال .

بلاد العرب — من اخبار الجزيرة العربية ان الحدود بين حكومتي اليمن ونجد مقفلة ، وان قوات الملك ابن سعود ضربت على حدود عسير نطاقاً شديدًا لكيلا تتنقل قبائل اخرى الى اليمن ، وان قوات الامام يحيى المجاورة للحدود ترقب القادمين والذاهبين .